AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد صالح الدقر
تلفون: ٢٢٢٨٧٧

G 4133 sA

ساحر النساء

بقلم

امين يوسف غراب

892.78
G4133 sA
C.1

تصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

المطبعة العالمية ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة

السنابل

بقلم

بالغفريني

ترجمة

عفيف طالع

إهداء

سيدى الاستاذ الجليل محمود تيمور

. . . مهما تقول المتقولون ، وأرجف المرجفون ، وادعى المدعون الذين لا يجيدون غير فن الدعاية والاعلان عن أدبهم البائر ، وفنهم الزائف وقصصهم الرخيص . فانت منشىء مدرسة .. وأستاذ جيل .. وخالق أدب .. وزعيم فن .

فاليك يا سيدى الاستاذ الجليل أهدى هذا الكتاب .

أمين يوسف غراب

كنت اذ ذاك اقيم فى مصر الجديدة وكان المترو لايزال يخترق شارع عماد الدين وكان من عادتى دائما ـ لاسيما فى ليالى الصيف ـ الا اذهب الى دارى الا فى آخر مترو يغادر القاهرة فى الواحدة صباحا اذ كان يخلو عندما ينتصف الليل او يكاد ـ وكان ذلك بصفة دائمة تقريبا ـ ان اذهب الى طوار مقهى عماد الدين واجلس الى احدى الموائد على رصيف تقاطع الفى وعماد الدين ، احتسى فنجانا من القهوة واستقبل نسيم الليل الخفيف الذى كان يترى رخاء فى هذا الوقت من الليل الذى يخلو فيه الطريق من الرواد اللهم الا من بعض العشاق فى الليل يمرون بك من كل زوج اثنين ... اما فى سيارة فخمة تمرق امامك كالهواء فى الليل .. او على قدمين يتنقلان كعصفورين جميلين ، أو من حسناء ذات دل تقف امامك فى (نيوكورسال) تلوك بين شدقيها شيئا شهيا او تمتص بشفتيها الملتهبتين شيئا مثلجا وكان يعرف عنى هذه العادة صديقى محمد افندى وهو موظف كبير فى وزارة التجارة . فكان يجىء الى كل ليلة فى وقت متأخر جدا بعد ان يفرغ من جلسته الطويلة فى بار البارزيان . فقد كان من الرواد الدائمين لهذا المكان . يجلس هناك كل ليلة من التاسعة مساء يحتسى كؤوس الخمر مترعة فقد كان مصابا بداء الخمر يشرب منها كل مايصل الى شفتيه حتى ولو كان برميلا كما كنا نشيع عنه ويظل كذلك الى ان يفرغ البار من الرواد جميعا ويظل هو يحاور الجرسون ويداوره

لكى يأتى له بكاس اخرى يشربها ولو خلسة عند البنك او على الطوار فى الطريق . واحيانا كان يحلو للجرسون ان يغيظه فلا يأتى له بشىء واحيانا كان يشفق عليه فيأتى بالكأس التى يريده فيشربها وينصرف مسرورا تتحسس اقدامه الارض كما يتحسس لسانه شفتيه ، حتى يبلغ سينما ديانا التى تكون قد اغلقت ابوابها فيقف يتامل جدرانها ويتمعن فى صور الممثلين والممثلات ويقرا اسماءهم ويروح يرددها همسا حتى يحفظها عن ظهر قلب ثم يجىء الى بعد ذلك فاطلب له فنجانا من القهوة . فيروح يحتسيه على طنين ثرثرته المملة الطويلة واحاديثه المختلطة التى لا اول لها ولا آخر . فهو مرة يتحدث اليك عن رقة صوت أفاجاردنر .. واخرى يحدثك عن جمال صوت زينات صدقى .. ثم يحدثك من غير مناسبة عن روعة قوام ريتا هيوارث .. وفجاة يتحدث اليك عن قوام فردوس محمد وعن رقته وهو يروح ويجىء امام عينيك فى الثوب البلدى الفضفاض الذى عناه الشاعر العربى بقوله :

ابت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن ظهورا

وعبثا تحاول ان تقنعه بان هذا القوام الذى عناه الشاعر لا علاقة له اطلاقا بقوام فردوس محمد . فيثور ويغضب ويرميك بالجهل .

ونظل كذلك الى ان ينتهيا آخر مترو الى الرواح فنذهب ويظل محمد افندى يواصل ثرثرته هذه حتى نبلغ محطة كوبرى الليمون فينزل هو لانه يقطن فى أول الفجالة وكان لاينسى ابدا عند ما يهبط من القطار ان يشرع الى وهو على الرصيف ويصافحنى يدا بيد ويقدم لى سيجارة ومع انه يعرف اننى لاادخن الا انه كان يصر على اشعالها لى . ثم يسير القطار فالقى بالسيجارة ملتهبة فى الظلام فتروح تحترق فى الليل على مهل تماما كما يحترق على مهل ايضا صدر صديقى محمد افندى من فرط الخمر التى تجرعها .

بيد ان كانت له احيانا بعض الآراء الجيدة التى لاتخلو من عمق ولا من معرفة ولا تخلو ايضا من تبصر ببعض شئون الحياة . واذكر انه كان يجلس الى ذات ليلة فى نفس المكان وكان الليل قد انتصف كما هى العادة .

وخلا الطريق الا من الظلمة التى اكتنفت الطرقات والمنازل ومرت بنا سيدة جميلة ترفل فى ثوب من الحرير الابيض الخفيف راح يحتضن فى رفق جسدها الجميل الدقيق المفصل والتف به كما التفت بها انسام الليل تحتضنها وتعانقها ثم تطير فى الليل تتماوج عطرا بعد ان قبلت الجمال ومسحت عليه وسرنى المنظر وكانت قد اقتربت ودانتنا ثم قفزت كالعصفور الفرد الى الرصيف المقابل ومن ثم ركبت احدى سيارات الاجرة وانصرفت فنظرت الى محمد افندى وقلت ؟

أرأيت الى هذا الجمال وكيف يذوب رقة فى الليل . فقال وهو يشعل لفافة وضعها بين شفتيه مقلوبة وكانت هذه احدى عاداته اذا لعبت الخمر برأسه :

ـ أتعرف اللارنج ؟

فغاظنى منه هذا وقلت :

ـ انى أحدثك عن الجمال !

ـ وأنا أيضا أحدثك عنه !

ـ وما علاقة اللارنج بالجمال ؟

ـ بل علاقة المرأة به ؟

ـ أتعرفها ؟

ـ لا .. ..

فاغتظت جدا حتى اننى نسيت انه مخمور وقلت :

ـ اذن كيف تتحدث عنها وتمثلها باللارنج ، ثم ماصلة اللارنج بالنساء .

فقال ضاحكا وهو يلعق اصبعه بشفتيه وكانت هذه ايضا احدى عاداته :

ـ كصلة البرتقال باللارنج تماما .

واحتدم غيظى ولكنى كظمته وقلت :

ـ وما هى هذه الصلة ؟

ـ ليس من فرق بين البرتقال واللارنج لا فى الحجم ولا فى اللون ولا حتى فى المنظر أليس كذلك ؟

ـ أجل

ـ ومع ذلك فاللارنج لايؤكل فيه غير جلده ، أما البرتقال فلا يؤكل غير قلبه .

ومرة أخرى تذكرت انى اتحدث الى رجل مخمور فقلت ضاحكا :

ـ ما صلة هذا كله بالجمال والنساء بل وهذه المرأة بالذات ؟

ـ هذه المرأة امرأة ليل ، وجميع نساء الليل ليس فيهن غير الجلد والعظم ، لان قلوبهن فارغة كاللارنج ، أما النساء الاخريات فان اعطينك شيئا انما يعطينك القلب ، ولذلك فهن كالبرتقال .

وأعجبنى هذا التشبيه وقلت :

ـ ولكن من قال لك ان هذه المرأة امرأة ليل ، ولماذا هى لارنجة وليست برتقالة مثلا ؟

فنظر الى ساعته وقال :

ـ كل امرأة تكون فى الطريق وفى هذا الوقت الذى قربت فيه الساعة على الواحدة صباحا هى ولا شك امرأة ليل

ـ هذا اسراف هب ان بعض الظروف أوجدت بزوجتك انت فى الطريق فى مثل هذا الوقت ، أتقول عنها امرأة ليل .

فقال محتدا وهو يدق بيده المرتعشة على الطاولة التى بيننا :

ـ لا وجود لمثل هذه الظروف .

قلت : **افرض ...**

فقال ولم تزايله حدته :

ـ لا افرض هذا الا فى حالتين ، اما ان اكون انا قد مت ، أو تكون هى قد طلقت .

وكان ناظر محطة المترو قد أطفأ مصباح مكتبه وأغلق النافذة ، وهذا ايذان لنا بقيام آخر قطار فانصرفنا اليه وفى عربة المترو جلست امامنا امرأة جميلة فقلت له هامسا :

ـ وهذه

ـ **لارنج** ... فقلت فى غيظ : ـ **الكل لارنج**

ـ اجل ...

ـ كيف الا تخرج زوجك الى الطريق أبدا ؟

فقال ضاحكا ويده ترتعش وتهتز فوق فخذه :

ـ ولمن تترك سجادة الصلاة .

ولاحظ الدهشة التى ارتسمت على وجهى فقال

ـ أتصلى زوجك ؟

ـ وما الذى يدهش فى ذلك ؟

شعرت بشىء من الخجل وقلت :

ـ انما أسأل فقط ...

فقال ضاحكا ولكن فى بهجة زائدة :

منذ أيام وجدتها تبكى ولما سألتها عرفت أنها نسيت أن تملأ المنبه فلم يدق ولم تستيقظ لتصلى الفجر .

فعقدت الدهشة لسانى واردت ان اقول شيئا جال بخاطرى ولكنى لم اقدر فقال هو :

ـ ماذا تريد ان تقول ؟

ـ أريد ان اقول كيف تسكر انت وتصلى زوجتك ؟

فقال ضاحكا ولكن فى الم :

ـ ويهدى ربك من يشاء ... ويضل ايضا من يشاء ...

ـ وما الذى تقوله لك عندما تراك مخمورا ؟

فعض على شفتيه وقال هامسا :

ـ لو أنها عرفت اننى أشرب الخمر لما مكثت معى لحظة واحدة

ـ الا تعرف انك تشرب الخمر ؟

فراح يهز لى سبابته مؤكدا .

ـ والآن عندما تذهب الى البيت

فقال فى همس وهو يضحك . ويمثل بيده وكتفيه وظهره الذى يقومه فيصبح كالهرة الخائفة . ويفرده فيغدو كالثعبان المنساب :

ـ عندما أدنو من البيت أتلمس سور الحديقة حتى اذا ماوجدته تحسسته ورحت أسير بجواره وكأننى أسير على يدى . الى ان أبلغ الباب الخلفى فاصعد مباشرة الى الطابق العلوى حيث انام بمفردى .

ـ وهكذا كل ليلة ؟

ـ كل ليلة

ـ وهبك اردت ان تجلس اليها ؟

ـ فى النهار متسع لكل شىء

ـ وهبها هى التى ارادت . فماذا يكون الحال ؟

ـ من فضل الله انها لم ترد ذلك ولم تفكر فيه

ـ هبها أرادت ؟

فلكزنى فى كتفى ضاحكا وهو ينهض استعدادا للنزول وقال :

ـ يا سيدى يبقى فيها فرج

وفى محطة كوبرى الليمون نزل كالعادة وكالعادة أيضا لم ينس وهو على الرصيف أن يسرع الى ويضافحنى يدا بيد ويناولنى السيجارة ويصر على اشعالها لى ، ولما سار القطار لم ألق بالسيجارة على الارض ملتهبة لتحترق فى الليل على مهل كما يحترق صدر محمد أفندى ولكنى أبقيت عليها مشتعلة بين أصابعى ومن ثم رحت طول الطريق أتطلع الى دخانها الذى كان يتصاعد امام عينى فى التواء عجيب

وفى الليلة الثانية انتظرت كالعادة ولكنه لم يجىء ولم يحتس معى القهوة كعادته ثم نركب المترو معا وكذلك فى الليلة التالية فانشغلت وخشيت أن يكون قد أصابه مكروه وكنت لا أعرف بيته ولا تليفون مكتبه . ولذلك انتظرت حتى جاء الليل وذهبت اليه فى الباريزيانا وسألت عن جرسون اسمه استاورو كان دائما يحدثنى عنه وعن المزة التى كان يأتى بها اليه . والكأس الاخيرة التى كان يعطيها له خلسة بعد التشطيب . فأخبرنى استاورو بأنه ذهب فى اجازة قصيرة الى الريف ليأتى بمحصول أرضه التى يملكها هناك . فاطمأننت ولكنى شعرت بشىء من الوحشة واحسست بأن مجىء محمد أفندى الى كل ليلة وهو مخمور وجلوسه معى نحتسى قهوته وثرثرته التى لاأول لها ولا آخر وركوبه معى المترو ونزوله فى كوبرى الليمون ، واللفافة التى يصر على أن يشعلها لى . كل ذلك اصبح عندى كعادة لاغنى لى عنها .

وشعرت بذلك على حقيقته فى ليلة معينة بالذات وددت لو كان معى فيها . فقد حدث أن تعطل المترو فى تلك الليلة وطال بنا الانتظار وتجمع عدد كبير من سكان مصر الجديدة على المحطة وانتهز سائقو التاكسى الفرصة ـ كما هى العادة ـ وراحوا ينادون على الركاب وجاء

تاكسى فركبته . وما ان فعلت حتى ركبت بجـــوارى سيدة ، كـانت وهى على الرصيف تنتظر المترو ، محط الانظار جميعا لروعة جمالها الذى يلفت النظر حقيقة . وامتلأ التاكسى بعد ذلك بالركاب وتصادف انها جلست فى نهاية المقعد وجلست انا بجوارها وسرنى ذلك الى حد كبير . ولذلك رحت اختلس النظر اليها ولكن فى حـذر شديد يشبـه حذرك من نار تلتهب امامك . وراحت السيارة تقطع بنا الطـريق الى مصر الجديدة فى الليل . وكلما اهتزت بنا السيـارة ولمس جســدى جسدها او ساقى ساقها عن غير قصد احسست بخطر تلك النار التى أجاورها ، وكان الركاب الثلاثة الذين معنا فى السـيارة اسرة يونانية مكونة من زوج وزوجة وابنتهما وكانوا يتحدثون فى لهجة سريعة لاتلاحق الاذن سماعها . اما هى فكانت ممسكة بيدها يد السيارة الجلد المدلاة. فلاحت يدها الجميلة فى الظـلام وقد التف حول معصمها ســوار من الذهب راح يرسل اشعاعه الذهبى عليها اشبه بضوء يلتمع فى عينين مختلفة الوانه واعجبنى ذلك فرحت اتطلع الى يدها . وكانها لاحـظت فانزلتها فخجلت خجلا كثيرا لانها لاحظت ذلك . وكانها لاحظت على ما غرقت فيه من خجل فارادت ان تغفر هذا الذى تورطت فيه ففتحت حقيبتها لتوهمنى انها انما انزلت يدها لتفتح الحقيبة او هكذا خيل لى. واخرجت سيجارة من علبة ذهبية صغيرة . ومن ثم راحت تبحث عن الثقاب فلم تجده . وانتهزت انا الفرصة فاخرجت فى سرعة البرق علبة الثقاب من جيبى واشعلت لها لفافتها ولست ادرى لماذا وانا اتطلع الى بهاء وجهها الذى راح يشع نورا على ضوء الثقاب كما تشع الماسة الثمينة لآلئها فى وهج الشمس . تذكرت صديقى محمد افندى وحديث اللارنج والبرتقال وشجعنى ان تذكرت هذا على ان اقول شيئا ولكنى تداركت سريعا وتذكرت ان حديث اللارنج والبرتقال وغـيره انما هو حديث رجل مخمور فسكت . وشكرتنى هى فى ايماءة رقيقة جـدا على هذا الصنيع وزادت على هذا الشكر بأن مدت لى يدها الجميـلة وقدمت لى سيجارتها المشتعلة لاشعل منها سيجارتى ولست ادرى أيضا ـ عندما كنت اشعل سيجارتى من سيجارتها ورايت حمـــرة السيجارة المشتعلة تسرى لهيبا فى السيجارة الثانية ـ لماذا تذكرت منظر الشفاة عندما تلتقى فى قبلة عميقة ودون ان ادرى رايت عينى متعلقة

بشعاعها ولكن فى ذلة تشبه ذلة الجائع عندما يتطلع الى الطعام الشهى. ولعل هذه الاحاسيس هى التى شجعتنى على ان اقول لهـــا عندما بلغت بنا السيارة اول مصر الجـديدة ونـزلت تلك الاسرة اليـونانية واراحتنا من ثرثرتها .

ـ اننى افطن فى نهـاية مصر الجـديدة فهل تسمحـين لى بشرف توصيلك اولا ؟

ومـا انتهيت من قـول ذلك حتى فوجئت بشىء غريب جـدا . فوجئت بها تدير وجهها بعيدا حتى اذا ما ازالت دمعة حارة انسكبت سريعا على خدها . التفتت الى قائلة :

ـ الواقع ان ظرفا قاهرا هو الذى اضطرنى الى المجىء لمصر الجديدة فى هذا الوقت . والبيت الذى أريده لا اعرف عنوانه جيـدا ولذلك بعد ان نصل أنت الى بيتك سأعود بالتاكسى لابحث عنه .

ونظرت الى الساعة فوجدتها الثانية صباحا فقلت :

ـ وهل من الصواب أن اتركك وحدك والحالة هذه وفى هذا الوقت المتاخر من الليل ؟

فنظرت الى ولمـا احست بشىء من الاطمئنان قالت :

ـ أخشى أن اتعبك معى

وهنا قال السائق وكان قد بلغ بنا ميدان الاسماعيلية

ـ لقد انتهى رقم العداد . فالى اين انشاء الله ؟

فنظرت اليها ونظرت الى وقالت :

ـ أظن عندما أكون فى ميدان النزهة سأعرف البيت .

وفى ميدان النزهة هبطنا من السيارة ورحنا نسير على اقدامنا نبحث عن البيت وكانت لاتعرف الرقم ولا حتى اسم الشارع . ولذلك سرنا كثيرا وتعبنا كثيرا ايضا ونحن نبحث عن البيت المجهول المختفى بين بيوت مصر الجديدة فى الظلام . واخيرا قالت وهى تشير الى بيت امامنا

ـ لعله هذا ؟؟

وكنت أعرف البيت التى اشارت اليه فقلت :

ـ هذا بيت أسرة أعرفها وقد سافرت الى المصيف من زمن ولا احد فى البيت

ـ اتقطن انت هذا الحى ؟؟

ـ بيتى على قيد خطوات قلائل من هنا

وعاودنا السير فى الظلام ولم نكد نمشى طويلا حتى وقفت فجأة وقالت فى ألم :

ـ اذن سأضطر الآن الى أن أعود الى الزمالك وعندما يسفر الصبح سأجىء

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة تقريبا فشجعنى هذا على أن أقول :

ـ اظن ليس ثمة ما يدعو الى الذهاب والعودة ولم يبق على الصبح غير قليل

ـ وماذا اصنع اذن ؟؟

وكنا قد اقتربنا من بيتى فاشرت اليه وقلت :

ـ هذا بيتى فهل تنيلينه هذا الشرف حتى ينجلى الليل ؟؟

فقالت وهى تنظر الى طويلا وكأنها تتفحصنى : ـ **أمتزوج أنت ؟؟؟**

ونجأة أسقط فى يدى . ودارت كلمات كثيرة فى خاطرى . دارت سريعة كما تدور عجلة الهواء . فانا ان قلت غير متزوج وانى اقيم وحدى فى البيت فقد لايشجعها هذا على قبول الدعوة . وبذلك احرم من امل راح يقترب . ومن سعادة راحت تدنو . ومن ظفر لايدانيه حتى الظفر بالدنيا تمسك بها فى يدك .. وان قلت لها اننى متزوج فربما ترفض حتى لا تورطنى فيمالا يجب أن لا يتورط فيه زوج . وبذلك يذهب الامل وتتلاشى السعادة وتضيع الدنيا وكان لابد لى من اجيب سريعا حتى لا تظن شيئا . وكان ان قلت :

ـ اجل انا متزوج

ـ وماذا يقول زوج لزوجه اذا دخل عليها فى الليل ومعه امرأة ؟

ـ لن يقول لها شيئا لانها ليست فى البيت .

ـ أين اذن

ـ سافرت الى البلد منذ أيام

ـ وتقيم الآن بمفردك ؟

ـ أجل

ـ وتريدنى ان اقضى الليل معك ؟

فشعرت بشيء من الخجل ولكنى قلت :

ـ أريد أن تستريحى فى بيتى حتى يسفر الصبح

ـ ترى هل فى هذا ما يطمئن ؟

ـ ولماذا لا ؟

ـ لان الملائكة لم تنزى بعد فى زى البشر ؟

ـ ولكنى اعتقد بان البشر احيانا يتزيون فى زى الملائكة

ودار بيننا حديث طويل آخر استطعت فى نهايته أن أجعلها تطمئن الى كما استطاعت بشخصيتها القوية واحاديثها الصريحة أن تجعل كل ما كنت أعقده على قبولها من آمال يتبخر من رأسى . وكل ما كنت اطمع فيه يتبدد

ورحنا نقطع الخطوات الباقية على البيت فى الليل ونسير جنبا الى جنب أشبه ما نكون برجلين او امراتين او شقيق يتأبط ذراع شقيقته . ولذلك رحنا نتكلم فى أشياء كثيرة جدا غير التى كانت تجول فى خاطرى وخاطرها وظللنا كذلك حتى بلغنا البيت ولكنى ما ان ادرت المفتاح فى القفل وانفتح الباب على غرفتى التى كانت هى كل ما فى البيت ورأيت اثاثها المبعثر ومحتوياتها المتناقضة ـ جورب ملقى هنا . وقميص هناك ووسادة على الارض وسرير من غير غطاء . وابريق به بقايا شاى من ايام وفنجان قهوة يعبث صرصار صغير فى قلبه . وشيزلونج قديم ملقى عليه بيجاما قديمة أيضا وزجاجة خمر بجانب السرير واخرى بها بقايا على طاولة صغيرة وقطعة جبن فى طبق صغير وبعض حبات من الزيتون متناثرة على الطاولة . ومذياع صغير معطل من شهور وملقى على مقعد قديم أشبه بجمجمة بين القبور ... وما ان رأيت ذلك كله حتى خلت اننى أراه لأول مرة . ولذلك طالعتنى الغرفة بمحتوياتها أشبه بعنوان قصيدة ماجنة لشاعر فاجر . فشعرت بالخجل وراح عرق الخزى يتصبب من كل جارحة فى ولاحظت هى ذلك كله فقالت وهى تنظر الى الغرفة وتتمعن فى محتوياتها .

ـ أهذه غرفة الزوج ... أم غرفة الزوجة ؟

فاعتذرت لها وافهمتها الحقيقة كلها ولماذا انا كذبت عليها فى اول الامر

وافهمتها اننى غير متزوج ثم اعتذرت لها ايضا عن وضاعة الغرفة وقذارة محتوياتها وعدم تنظيمها . فضحكت وقالت وهى تجلس على حافة السرير وتعاود النظر الى أثاثها .

ـ وما الذى فيها حتى ينظم

فجاريتها فى الضحك كما جاريتها ايضا فى بعض الاحاديث الاخرى ، ثم تناولت الوسادة من على الارض والبيجاما الملقاة على الشيزلونج وافهمتها باننى سأنام فى الصالة وساترك لها الغرفة ولكنها اصرت على ان تنام هى فى الصالة فرفضت بطبيعة الحال . واخيرا اتفقنا على ان تستريح هى على السرير واستريح انا على الشيزلونج حتى تمر تلك الساعات القليلة الباقية على الصبح ومن حسن الحظ كان الكواء قد احضر لى بعض الملابس النظيفة فى الظهر ومن بينها ملاءة سرير نظيفة ففرشتها

لها على السرير ثم اخرجت لها من صوان صغير بيجاما جديدة كنت لم ارتدها بعد وتركت لها الغرفة وخرجت الى الصالة حتى تستبدل ملابسها . ومن ثم جلست وحدى احاسب نفسى حسابا عسيرا على هذه

الحياة القدرة التى احياها وبعد حين اذنت لى فى ان افتح عليها الباب . وما ان فعلت حتى وجدتها مستغرقة فى ضحك طويل وهى تنظر الى البيجاما الضيقة التى ادخلت جسدها فيها ادخالا فغدت على جسدها الفارع الممتلىء أشبه بالثوب الرقيق الضيق الذى يوضح معالم كل شىء . ونظرت انا الى الجسد الجميل الذى فصله الثوب تفصيلا ورايت الصدر العارى المستعلى الذى انشق غديره بين الثديين وراح ينساب رقراقا الى مصبه . ثم الى النحر الذى راح يتبلور بهاء وكانه القمر يرسل نوره على الغدير بين الخمائل . ودارت بى الارض ورحت مغمض العينين اسخط فى سرى على حديث الطريق والبشر الذين يتزيون احيانا بزى الملائكة . وذلك الكلام الفارغ الذى قلته لها ولا وجود له اصلا فى عالم الحقيقة عند الرجل . وظللت كذلك الى ان فتحت عينى بعد حين فرايتها تنظر الى وجهى وهى مضطجعة على السرير وكانها تريد ان تقولى لى شيئا . فسألتها عما يجول بخاطرها فانشق ثغرها عن ابتسامة لم ار ارق منها ارتسمت من قبل على ثغر امراة ، وقالت :

ـ جائعة

فنهضت من على الشيزلونج منتفضا كمن لدغه عقرب . واسرعت الى المطبخ فوجدت من حسن الحظ بعض الطعام هناك . فاحضرته لها . ووضعته على الطاولة التى قربتها من السرير . فرفضت ان تاكل الا اذا اكلت معها ومع انها أخلت لى مكانا بجانبها على السرير الا اننى فضلت الجلوس على المقعد خشية ان تبدر منى بادرة تؤذيها ومن ثم رحنا نتناول الطعام فى صمت لا يشوبه سوى صوت الخبز الجاف الذى تكسره اسناننا فى الليل . وفجاة قطعت هى هذا الصمت بأن قالت وهى تنظر الى زجاجة الخمر التى كانت بجانب السرير :

ـ أتشرب الخمر ؟

وسرنى جدا هذا السؤال . وقفز قلبى فرحة له . وتمنيت لو شاركتنى فى كاس منها . ولكنى ترددت فى الاجابة خشية ان اغضبها ان قلت نعم . او لا . ومع ذلك اجيب :

ـ اشربها احيانا

ـ ولماذا تشربها ؟

وحمدت الله على أننى لم أقطع بذلك وقلت :

ـ اذا كنت مريضا مثلا

ـ فقط ؟

ـ أو بردانا

ـ وهل تشفى الخمر من المرض . وهل هى تزيل البرد ؟ ؟ ؟

ـ يقولون ذلك

فنظرت الى ضاحكة وكأنها تضحك من سذاجتى وقالت :

ـ ومتى تبرد ومتى تمرض ؟

فواتتنى لمحة من ذكاء فرحت لها جدا لانها أوجدت لى ثغرة أنفذ اليها وقلت :

ـ مثلا الليلة أشعر ببرد شديد

ـ برغم حرارة هذا الجو ؟

فتلعثمت ولكنى قلت :

ـ لاننى أشكو البرد من ايام .

ـ اذن اشرب كأسا .

ـ أخشى أن يغضبك هذا

ـ انه يسرنى طالما يشفيك

ومدت هى يدها الى الزجاجة وأفرغت لى كأسا منها وقدمتها الى وهى تقول ضاحكة :

ـ على الا تسكر .

فجاريتها فى الضحك وانا افرغ الكأس فى جوفى مرة واحدة . فناولتنى كأسا ثانية فشربتها أيضا . وهممت أن تناولنى الثالثة ولكنى كنت قد شعرت بدوار شديد لأننى لم أتعود شرب الخمر الا فى القليل النادر فرفضت ولكنها أصرت فشجعنى هذا الاصرار منها على أن تشرب معى كأسا هى أيضا فلم ترفض . وفجأة رأيتها تشرب فى شراهة زائدة حتى استلقت مخمورة على السرير والقت برأسها على الوسادة . فتهدلت خصلات شعرها الطويل الفاحم وانسابت فوق خديها وحول جيدها كما انتشرت بعض ذوائبه على الصدر فحجبت بعضه ورحت أتطلع الى هذا المنظر الجميل . والى وجهها المنور الفارق فى سوار الشعر كما يفرق القمر فى

الغمام وشجعنى هذا والخمر التى شربتها على ادامة النظر اليها وعلى ذلك وجدتنى امد يدى الى شعرها الناعم وامسح عليه واتحسسه وكانى اتحسس قلبى بين جنبى . واحست هى بذلك ففتحت عينها ونظرت الى صامتة وظلال اهدابها الطويلة تهتزوتترنح فوق عينها . ثم تمتمت ولكن فى صوت خفيض جدا لا يكاد يبين :

ـ **اطفىء النور**

ولم ادر على وجه التحديد ما الذى حدث بعد ذلك . وكل ماعرفته منذ تلك اللحظة اننى استيقظت عند الظهر فوجدتنى بمفردى على السرير وبحثت عنها فلم أجد غير البيجاما التى كانت ترتديها ملقاة على الارض . وورقةصغيرة علىالطاولة بجانب كأسفارغةفقرات فيها (**بقدر ماضايقنى غباؤك . سرنى اننى فى النهاية عثرت على البيت الذى كنت ابحث عنه . والرجل الذى كنت أريده والليلة التى كنت أنشدها**) .

فدهشت وقرات الورقة ثانية فتجسم لى غبائى الكبير اذ كان فعلا يجب على ان أعرف منذ اللحظة التى أشعلت لها اللفافة فى السيارة انها امراة ليل . وغاظنى الى حد اننى وددت لو اراها ثانية وشعرت بهذه الرغبة تلح على فرحت ابحث عنها فى كل مكان فى الطرقات فى الليل ، وعند محطة المترو حتى الواحدة صباحا . وبلغ بى الجنون ان كنت اذهب الى الزمالك فى اوقات متفاوتة واروح وحدى اقطع اكثر الطرقات لعلنى اراها فى طريق أو اصادفها فىنافذة . ولكنبلافائدة وكانصديقى محمد افندى كلماجاءنى مخمورا فى الليل ورآنى محزونا ، أو رحت اقص عليه طرفا من متاعبى فى البحث عنها . ضحك حتى استلقى على مقعده وقال :

ـ **ياسلام على اللارنج .**

وظللت كذلك الى ان حدثت لى تلك المصادفة الغريبة منذ ايام . فقد كنت أركب الاتوبيس فى طريقى الى المحطة لأركبالمترو فاذا بى أرانى وجها لوجه أمامها وبجوارها صديقى محمدافندى الذىحيانى على الفور وقدمها لى وهو يقول :

ـ **السيدة حرمى**

قال وهو يتأمل دخان التبغ المنعقد فى سماء الحانة التى قادنى اليها . وقد تكاثف فى ارجائها حتى غرق فيه المصباح الزجاجى المعلق فى الزاوية فانبعث نوره الاصفر خابيا على وجوه تلك الحفنة من الحوذية والحمالين الذين جلسوا يتمايلون على الطاولة الرخامية تحت المصباح يلعبون (البصرة) بزجاجات النبيذ الرخيص الذى يشرب هو منه ، والذى توزعه عليهم (جمالات) راقصة بار الاميرة بثوبها التل الموشى بشريات الترتر الاصفر البراق وحبات (خرج النجف) اللامعة التى انتشرت بكثرة على صفحتى الثوب فلألأت تموجاته وجوربها البرتقالى الرخيص الذى سقط على ساقيها الزرقاوين وتدلى على (خلخالها) الفضى فحجبه مع تلك الازرار الاربعة التى صفت على جانب حذائها الاسود الباهت

ـ الست ترى معى أن البؤس هو واضع اصول الاشتراكية وانه هو الذى جمع بين هذا الصنف من الناس فى صعيد واحد .

وقبل ان اجيبه بشىء نقر بيده نقرا هينا على الطاولة الخشبية المتآكلة التى بيننا وطلب زجاجة اخرى من النبيذ فاقبلت بها جمالات وقد سبقتها رائحة كريهة انبعثت من ثغرها الاجوف الشبيه بفجوة ضيقة فى قبر مهجور . وأومأت لنا بوجه شاحب ارتسمت عليه صورة الموت الزاحف تظللها سحابة سوداء تمثل رمز الشقاء الدنيوى .. ووضعت الزجاجة بيننا ثم انصرفت توزع ضحكاتها على السكارى فشيعها

صاحبى بنظرة حزينة علقت بأذيالها وبكأس من النبيذ أفرغها فى جوفه ثم بدا يتحدث وكأنه وجد فى الحديث تسليته قال :

ـ كنت اذ ذاك لا أزال حديث العهد بالحياة العملية التى استقبلتها وانا لين الساعد ضعيف المنكب لا اقوى على حمل عبء الحياة الثقيلة الذى قدر لى ان احمله وحدى . فقد نلت اجازة الطب بعد ان فقدت ابوى اللذين كنت وحيدهما . وبفقدهما حرمت من شيئين هما أعز الاشياء على كل نفس ، حرمت من الزميل الصادق الذى يدلنى على مسالك الحياة كلما ضل رائدى فى مفاوزها وارتطمت رأسى بصخورها اليابسة وحرمت من المال الذى ابتاع به الدليل الصادق والزميل القوى .. وهؤلاء فى الدنيا كالمطايا لا تعينك على قطع الطريق الا اذا ملات لها المخلاة . وكنت من صغرى أبغض الوظيفة لاننى تمثلتها فى والدى الذى كان موظفا سجين حراسه .. تلك الجنيهات العشرون التى كان يقبضها .. ودستوره قتل الحرية الفردية فى الانسان وتلوين اخلاقه باللون الذى يشتهيه الرؤساء ، كذلك كرهتها وعافتها نفسى ورفضتها بكل اصرار عندما طلبت الوزارة توظيف اوائل الناجحين الذين كنت منهم .

وذهبت الى الاسكندرية بلدى ومسقط راسى وافتتحت عيادتى هناك وكرست لها وقتى وبذلت لها مجهودا أثابنى الله عليه فعرف اسمى كطبيب ماهر وكثر زبائنى وكثر معها دخلى الذى كنت لا اطمع فى اكثر من نصفه . والهتنى شئون المهنة عن كل ما هو دونها حتى شبابى الذى كان يتشوق الى نسيم الحياة وعطرها الشذى اغفلته ولم اعمل له حسابا واصبحت امكث الايام لا ابرح العيادة ولا أرى فى الطريق الا ذاهبا لغوث مريض أو قافلا من عيادة مرضاى . الذين اتصلت حياتهم بحياتى وراحتهم براحتى وبلغ من حرصى عليهم انه لما تحرجت الحالة واستهدفت الاسكندرية الى الغارات المتوالية التى شنها الالمان عليها ابان الحرب العالمية الثانية والتى بثت الرعب فى الاهلين وجعلتهم يهيمون على وجوههم هربا من الموت الداهم ينشدون الحياة ولو فى احضان الفاقة والجوع لم افكر فى الهجرة التى ستفصلنى الليل بطوله عن مرضاى حتى ولو تعاظم الخطب وشاءت رغبة الطغاة ان تضاعف من ذعر الآمنين وفجيعة المنكوبين وظللت كذلك الى ان حدثت تلك الغارة الفاجعة غارة

٦ – ٧ يونيو سنة ١٩٤١ التى ذهبت ضحيتها تلك النفوس البريئة تشكو الى ربها ظلم الانسان لاخيه . والتى لم انج منها الا بفضل بقية من العمر كانت لا تزال باقية . عندئذ فكرت جديا فى الهجرة ولم البث طويلا لان الفكرة كانت قد اختمرت فهاجرت الى دمنهور واستأجرت فيها مسكنا صغيرا أقضى فيه الليل الذى كان يتمثل لنا فى الاسكندرية بومة تنعق على رؤوسنا .

ونظمت حياتى على هذا الوضع اركب قطار المساء من سيدى جابر الى دمنهور وعكس ذلك فى الصباح بحيث ان مواعيد سفرى لم تختلف يوما واحدا من تلك الايام التى ما برحت ذكراها حية فى خاطرى لم يشيعها الزمن بعد الى قبر النسيان .

وحدث ذات يوم ان استيقظت مبكرا قبل موعد القطار بساعات وسئمت نفسى الوحدة والانتظار فى ذلك المسكن الضيق الذى لم اجد سواه فى دمنهور فانصرفت الى المحطة فاذا بها خالية من المسافرين فتراءى لى ان اذهب الى البوفيه لاشرب فنجانا من القهوة احرق عليه لفافة الصباح واطالع اخبار الحرب .

ولفت نظرى وانا اتهيأ للجلوس سيدة تجلس فى زاوية منعزلة من البوفيه وقد دفنت وجهها فى كتاب تتأمله . لم يحدث مرآها فى نفسى شيئا جديدا فاننى تعودت ان اراها دائما كانت تركب معى قطار الصباح الى سيدى جابر ونعود معا فى المساء فى قطار واحد . وكنت اراها دائما كما رايتها فى ثوبها الاسود الذى لايتبدل لونه و (طرحتها القاتمة) التى تدلت اطرافها من الخلف على حذائها الاسود اللامع ، والتى لفتها لفة محكمة حول وجهها الابيض فزادته بياضا وكان هذا الزى الاسود الذى اختارته لنفسها او اختاره لها القدر وارغمها عليه ارغاما اظهر خفايا جمالها من حيث لا تعمد ولا قصد : فمثلا ساقاها لا يلفتك اليهما قالبهما الفنى الرائع بقدر ما يبهرك الجورب الاسود وقد تراءى لك وكأنه ملتف على امواج من نور .

وكان ذلك يتمثل بوضوح اكثر فى قسمات وجهها التى تجتذب نظراتك اليها جذبا ثم تنقل اليك على أسلاك تلك النظرات الخاطفة معانى تلك القسمات واضحة جلية .. الا انها كانت تبدو فى جلستها هذا اليوم كما

كانت تبدو دائما حزينة مكتئبة سادرة القلب حائرة الفؤاد مشوشة الفكر . تفكر فى اشياء ثقيلة تحس انت بثقلها من كثرة تأملاتها اللانهائية .. وتراها من طول هذه التأملات وكأنها قد استكانت للحزن فلفها بغشاء رقيق تستطيع ان تتبين صورتها الحزينة من خلفه . فتعجب لهذا الجمال الذى خلق للصفاء كيف امتدت له يد العبوس ولهذا الذى يضيء على مرمى العين كيف أطفأته يد القدر .

وكان من مسببات لفت نظرى اليها وتفكيرى فيها هدوؤها ووحدتها فهى تألف الهدوء حتى فى خطواتها وتحب الاتزان حتى فى لفتاتها وايماءاتها .. فلم ارها قط تحدث انسانا او يحدثها انسان كأنها مخلوق غريب عن البشر يجهل لغته ولا يحب معرفته . لذلك كنت لا اسمع صوتها الا نادرا عندما تبتاع صحيفة او تشترى مجلة او تسأل عن البروجريه الذى كانت تطالعه كل يوم . عندئذ كنت اسمع صوتها ينبعث الى اذنى كوسوسة الحلى أو أهازيج الطير وهى ترجع ترانيم الصباح فى أوكارها. وكان يحلو لها احيانا ان تبتاع بعض صنوف الفاكهة من الاسكندرية كما كان يحلو لها ان تشترى اللحم من دمنهور فكنت اسر بذلك سرورا لا يقدر لانها ستسمعنى صوتها وهى تنادى الحمال الا ان هذه الحاجيات كان يدل حجمها على انها لشخص واحد .. لا اخاله الا هى .

ترى هل هى وحيدة مثلى .. ؟

ترى هل لحقها ظلم الانسان المتمدن فهوى ببيتها ومات أهلوها وهذا سر وحدتها وكآبتها .. ؟

ترى هل تقسو الحياة حتى لا تفرق بين الرجل والمرأة .. ؟ أم تراها تعصب عينيها وهى تبذر بذور الشقاء فى الناس حتى لا يستهويها الجمال فتشفق عليه وتسقطه من حسابها ؟

مرت بمخيلتى كل هذه الصور وهى قبالتى ابعث اليها الطرف متلصصا من خلال الصحيفة التى فى يدى حتى جاء القطار فطوت كتابها والقت نظرة عجلى على ساعتها الذهبية الراقدة بين فكى سوار من الماس الثمين استمد ضياءه من بهاء المعصم العاجى الذى التف عليه ثم انصرفت فتبعتها عيناى وشيعها قلبى الذى احسست لاول مرة ان له آمالا

ودفعتنى هذه الآمال الى التفرس فيها ان هى اقبلت والتفكير فيها ان هى ادبرت حتى أصبح مرآها من لزوميات عينى والتفكير فيها من ضروريات عقلى . حتى انها كانت عندما تقبل وتهدهد طلعتها عينى الحائرة الفكر فى محادثتها لعل فى ذلك ما يريح القلب الذى كان لاينى يسر الى نحيبه كلما زجرته عنها وحذرته من التمادى فى غيه .

وظلت كذلك حتى اتاحت لى الظروف التى لم اهيؤها فرصة الجلوس بجوارها فى عربة (البولمان) وكانت مستغرقة فى كتاب بالفرنسية تقراه بعناية حتى انها لم تفطن لوجودى عندما جلست قريبا منها ولاحظت انها متأثرة بما تقرا تأثيرا غير ملامحها بعض الشىء واستحوذ على عواطفها حتى انها نسيت الوجود بالكتاب الذى فى يدها . والهبت حواسى الغيرة

من هذا الكتيب ذى الغلاف الوردى اللامع الذى نام مستسلما بين انامله واعطاها قلبه فاعطته عينيها فاختلست نظرة الى عنوانه فعرفت انه (سافو) لالفونس دوديه . وكنت قد قرات هذه القصة قبل ذلك وعلق

موضوعها بذهنى وقتا فشجعنى ذلك والتأثر البادى عليها حتى بلور عينيها بالدموع على ان اتكلم .

– هل لى ارجو سيدتى ان تروح عن نفسها بعض الشىء فما هذه الصور التى تقرأين عنها الا هياكل نسج خيوطها الخيال وصور معالمها العقل . ثم نفخت فيها الالفاظ من روح معانيها فغدت صور انسانية تتحرك امام عيوننا .. ثقى ياسيدتى ان مثال سافو ، ومرجريت ومانون ليسكو ومن على شاكلتهن ان هن الا بغايا اوثت ارذيلة قلوبهن واماتت فيهن الشعور الانسانى والخيال الخصب وحده هو الذى يصورهن لنا راهبات . ويخلق منهن قديسات .

قلت ذلك وصمت قليلا فرفعت وجهها عن الكتاب ورمتنى بنظرة فاحصة ادامتها طويلا وزمت شفتيها وزوت ما بين حاجبيها كأنها تتفرس فى مخلوق جديد على عينيها ثم قالت :

– ولم لايكون الخيال الخصب الذى تتحدث عنه هو الذى أملى عليك هذا الحديث ؟

ثم هزت رأسها وقالت : **(واذا لم نسكب الدمع يا سيدى على المحرومات اللائى ينفق عليهن الجسد .. انسكبه على اللائى يرفلن فى ثياب المال لم يتجردن للرذيلة كلما جن الليل . لست ادرى أيها السيد لماذا تسكبون الدمع عند أقدام المرأة وانتم تخرجونها من الجنة ولا تسكبونه عليها وانتم تلقون بها فى النار ؟**

وما ان قالت ذلك حتى شعرت بوحدتى تتجزأ ودبيب الخيبة يلقى بها متناثرة على جانبى وكأنها لحظت ذلك فجعلت وجهها بعيدا عنى بيد انى اعتذرت لها عن هذا الذى قلته لها فى غير صدق اننى انما انتحلته لاروح عن نفسها التى لم تشفق عليها فقبلت هذا بأن اذنت لى بالجلوس على مائدتها ثم طلبت لى فنجانا من القهوة اتصل به حديثنا .

كانت من صفاء النفس ونقاء الطوية ، وسلامة السريرة بحيث اظهرت لى دخيلتها وافضت الى بكل شىء . علمت منها انها مدرسة فى احدى المدارس الكبرى ولكنها لم تشأ ان تسميها ، وانها وحيدة لا اهل لها فى الدنيا ولا صديق وانها كانت زوجة لرجل من خيار الناس مات لسبع

ليال خلت من زفافهما . فثكلته وترملت بعده واوقفت على ذكراه حسنها وهذا سر وحدتها ومبعث كآبتها . وشجعنى اخلاصها الذى كنت المحه متألقا فى عينيها على أن اقرا عليها فى اخلاص صحيفة قلبى وهوامش نفسى فسرها اننا صنوان لوحدة واخوان لهم . وخدنان لحياة .

والفت هذه الاشياء بين صداقتنا ووحدت عراها الغاية البريئة والقصد الخالص والضمير النبيل . واستطاعت ان تظهرنى على كل ما استخفى من نفسها فعرفت لاول مرة كيف يضيء الطهر النفوس وتنيرها الفضيلة حتى تجعلها كأضواء السماء التى تنسكب على عيوننا . فضاعف هذا من حبى وجعل وحدتى مرتبطة بوجودها وحياتى متصلة بحياتها وعرفت هى ذلك فاطمأنت الى واعطتنى أعز ما تملك اعطتنى قلبها .

ظللنا بعد هذا التبادل ثلاثة شهور وكانت هى اول ما فزت به من الحياة وتكشفت لى فيها الحياة عن حقيقة كنت أجهلها هى ضرورة المرأة للرجل . لذلك ازمعت فى نفسى امرا وانتهزت فرصة دعوتها لى فى دارها على الغداء وقدمت لها خاتما من الماس الثمين معلنا خطبتنا .

ولكنها لم تتناوله من يدى بل اذهلها النبأ فنظرت الى نظرة طويلة لم افهمها ثم قالت وهى تنكس راسها : وهل تقبلنى وقد نالنى قبلك رجل ؟ اننى ارمل اننى شقية .. اننى احترق — ثم انفجرت باكية وارتمت على مقعدها محمومة ترتعش وظلت كذلك الى حين . وما زلت بها حتى هدات ثائرتها وجففت دموعها التى كانت تنحدر لؤلؤية على خديها ثم تناولت يدها وعقدت عليها خطبتى وربطها بقبلة احست هى باخلاصها يتسرب الى كل جارحة فى قلبها .

ولم تمض سوى أيام حتى كنت قد هيأت لها عشا جميلا تخلى لى عنه صديق كريم كان قد ابتناه بمزرعته فى الريف ثم وقعنا الوثيقة الرسمية ونقلتها اليه .

ومن ثم اخذت اجلس قبالتها النهار كله ابتسم الى عينيها وهى تنقل على اسلاك نظراتها السعادة الى قلبى فلقد علمتنى عيناها ان الحياة ليست مالا فقط . وليست مجدا فقط . وانما الحياة العريضة المعبدة طرقاتها بورود الهناء وازهار السعادة انما هى فى يد امرأة جميلة تربت

بها على كتفك وهى تهبك قلبها . تهبك السعادة التى هى نور يتسرب الى قلب الانسان فيضىء جوانبه .

وعلى هذا مكثنا بعد الزواج خمسة اشهر لا شغل لنا الا التجديف فى غدير الهناء بزورق الحب حتى يتراءى لنا ان نعرج به على شط الحياة فنأخذ منه حاجياتنا ثم نعود الى تلك السويعات التى تعدل العمر فننتزعها انتزاعا من مخالب القدر ونروح نتقاذفها وسط الغدير فرحين مهللين حتى يكتهل الليل ويلفنا بكسائه الوسنان الى ان يأتى الصباح فأباركها ثم انصرف الى الاسكندرية كعادتى .

وحدث ذات يوم وانا اتهيأ لركوب سيارتى مع الصباح ان ناولنى طواف البريد رسالة باسمها عليها طابع احدى الوزارات ففضضتها واذا بها من وزارة الشئون الاجتماعية تشكر فيها (زينات اسماعيل) على تنازلها عن تلك الهبة المالية التى منحتها الوزارة للبغايا اللائى الغى ترخيصهن من زمن بعيد .

ونظرت الى صاحبى ولكن الدموع المنسابة من عينيه كسرت نظراتى واثقل مرآها راسى فحملتها فوق ذراعى على الطاولة الملوثة برائحة النبيذ الرخيص ومكثت الى حين . ثم رفعتها على صياح السكارى الذين أخذوا ينقزون على الطاولة امامهم نقرا منتظما راحت توقع عليه جمالات رقصتها المبتذلة .

والتفت الى صاحبى ولكنى لم اجد الا مقعدا خاليا وزجاجة فارغة وكاسا بها ثمالة .

ترى هل ذهب . ؟ ؟

اقبل على الدار مع العصر ، وطالعت عينيه اعلام الزينة المقامة على جوانبها ، والاعلام والبنود الخافقة على ابوابها ونوافذها ، ورأى خليطا من الناس يتوافد عليها ويؤم ساحتها ويقطعها روحة وجيئة وكلهم وجه ضاحك ، وثغر باسم ، وجبين متألق ، وشاهد بعض الحمالين وهم ينقلون بعض بقايا العرس فى خفة ونشاط وهم يرددون بصوت منتظم اغنية مبتذلة تعود اهل الريف ولا سيما النسوة ان يرددنها دائما فى هذه المناسبات على باب مخدع العروسين ساعة لقائهما .

وما ان سمع بداية الاغنية ورنت فى اذنه هذه الكلمات « قولوا لابوها يروح يتعشى .. دى ليلة سعيدة » حتى صعد الدم حارا الى وجهه . وندى عرق الخجل جبينه العريض اللامع وتوقف عن متابعة السير . ورجع من حيث اتى يسير وسط المزارع المترامية ...

انه هو المقصود بهذه العبارات التى يلقيها السذج من الناس على عواهنها . والتى يكاد الخجل منها يخترم صدره وينفذ الى قلبه فيدميه ...ما اعتق هذه التقاليد وما ابلاها . لم لايكون التفكير فى الزواج والخطوبة بل وفى ليلة الزفاف نفسها سرا من الاسرار مادامت الحياة الزوجية كلها أسرار .

انه الشيخ الشاب الذى يخجل من نفسه . والذى تتعثر خطواته اذا نظرت اليه امرأة فى الطريق . او ارتدى يوما جلبابا جديدا وسار به .

فكيف به يحتمل ان يكون عريسا هذه الليلة وتخترمه العيون . وتحتم عليه التقاليد ان يرتدى الجلباب المخطط اللامع . وفوقه الكاكولة الصوف ذات الرقبة المنشاة . والحذاء الاصفر الفاقع . ثم يسير وامامه الشموع حتى يدخل على عروسه فى خدرها وقد وقفت على بابه النسوة يرددن مصفقات امثال هذه العبارة النابية .

ما كان اغناه عن هذه الضجة التى خلقتها له امه فى اجازته الدراسية . وفكرت فيها ونفذتها من مدى اسبوع دون ان يعرف عنها شيئا . او يعرف حتى من هى عروسه ... وما كان اسعده بتلك الغرفة المظلمة فى حارة السايس خلف ضريح السيد البدوى . عند ما يجلس فيها وحيدا ، وامامه مصباحه الزجاجى الخافت ، وحوله اكداس الكتب يطالع فيها من آن لآخر فى الفية ابن مالك ، وفقه اللغة واصول المذاهب الاربعة ... لقد كان يفضل ذلك كله على هذه الضجة بشموعها وطبولها وعروسها التى قيل له عنها انها من الحور العين .. لان ذلك اسلم الى طبيعته وادعى الى تجنبه ازمات الخجل الحادة ،ولكنه قرأ فيما قرأ من كتب السيرة والدين ان الله امر الناس بالزواج ، وفرض هذا فرضا على كل من استطاع اليه سبيلا ، وان النبى عليه صلوات الله حض على ذلك وحرض عليه .

حقا انه اغض للبصر . ولو كان متزوجا لما ارتكب ذلك الاثم الذى ذاب قلبه على ارتكابه حسرات ولما وقع فى ذلك الشرك الذى نصبته له احدى فواجر الحضر . ولما تردى فى تلك الهاوية التى حفرها له الشيطان وزخرفتها الخطيئة وفرشتها له امراة بالدمقس .

لكم كان يود ان يلقى زوجه هذه الليلة وهو بكر الذيل طاهر كما كان . وكما ستلقاه . ولكن .. ولكن ماذا ؟ وانفجرت الدموع من عينيه واحس بها تنساب دافئة على خديه فاخرج منديله المحلاوى الكبير ذا الخطوط والتعاريج الثعبانية . وخفف عبراته . ثم وضعه فى جيبه وعاود سيره نحو الفضاء العريض الواسع . وذكراه نحو الماضى السحيق الدامى ... ولكن تبا لتلك الليلة التى لم يطلع فيها نجم ولم يرفرف على افقها بجناحيه ملاك . يالها من ليلة ضريرة حرقت فيها الشياطين بخور الخطيئة على مسرح الاثم ، ويالها من بغى فاجرة جعلت لعبتها طوال ليل باكمله شابا فى السابعة عشر من عمر ! .

كانت تلك الليلة المشئومة يوم انذهب المعمم الصغير لاول مرة فى حياته الى الاسكندرية ليمتحن فى معهدها الكبير امتحان النقل التجهيزى. واقبل على امتحانه آمنا مطمئنا ،وخرج منه راضيا عن نفسه ودرسه ومستقبله وكان اليوم يوم خميس . وكانت امه قد نقدته جنيها ليبتاع به بعض حاجيات لها من البندر وكانت نفسه تواقه الى الى صلاة الجمعة فى مسجد « ابو العباس » ذلك العظيم الذى سمع عنه كثيرا والذى حنت نفسه مرات الى التبرك بصاحبه . وزيارة ضريحه الطاهر .

فازمع قضاء تلك الليلة فى المدينة ليحقق احدى امانيه العذاب. فاقبل على المدينة مع المغرب يجوب انحاءها . ويمتع نواظره برياضها ، وبهرته اضواءها الراقصة ، وانوارها المتلألئة ، وقف فى اول شارع سعد زغلول دهشا ماخوذا ينظر ذات اليمين وذات الشمال . وكلما مر به خليط من الناس تتبعه بعينيه وعلقت نظراته بأذياله . وشاهد جموعا من ظباء الغيد يقطعن الطريق ذاهبات آيبات . وشاهد ما لم يشهد من اجسام متكسرة ، وأعطاف مكدودة ، وعيون ممروضة ، وسيقان انطلقت عارية تجر جرخلفها الآمال العذاب وتميتها عند مواضع الاقدام منها . فخفق قلبه خفوق الحسرة على تلك المباذل التى شاهدتها عيناه .

وحاول ان ينصرف فأحس بثقل قدميه ونشوة اعصابه فحوقل وبسمل واستعاذ بالله . واصلح من هندامه ثم وضع كتاب الفقه على المذاهب الاربعة الذى اشتراه عصر اليوم من احدى المكتبات تحت ابطه ، ومن ثم هم ان يواصل سيره ولكنه راى جموعا من الناس تتوافد على دار معينة وتدخلها وراى حشدا من السيارات يقف متراصا امام تلك الدار فحملق فى اللوحات المقامة على ابوابها فعلم انها « سينما » .

وكانوا قد حدثوه طويلا عن السينما ، حتى اقتنع بانها تختلف كثيرا عن صندوق الدنيا الذى طالما رآه فى القرية . لانه يرى فيها الناس احياء تروح وتجىء كما يراها امامه فى الطريق . وهى تختلف ايضا عن صندوق الدنيا . لان ذلك شىء لا ضير على المسلم ان يراه. أما تلك فكثيرا ماتكون مهبط الفسوق ومحط الشرور ومرتع الآثام . لان النساء اللاتى يلعبن ادوارهن فيها كثيرا ما يبدين زينتهن وهن متبذلات شبه عاريات .بيدان الذى شجعه على الدخول اسم الفلم « لص بغداد » وكان يتمنى ان يعرف

شيئا عن تلك البلاد المقدسة التى لا يمكن أن يشاهد فيها الا كل ما يرضى الله ولا يغضب الناس .

وجاءت جلسته بجوار فتاة دخلت وحدها مثله وانتهزت الفتاة فرصة وجود الشيخ بجوارها وبداته التحية فحياها بأحسن منها ولكن دون ان ينظر اليها وكانت الفتاة ممن يعرفن كيف يطرحن الشباك ولقد سرها هذا الصيد الساذج المرتبك ، وشجعتها نظراته الحائرة وحركاته التقليدية على أن تضع الطعم فى السنار بمجرد أن رأته .. وسألته اول ما سألت عن أسم الكتاب الضخم الذى يحمله على فخذيه فأجابها عنه فى ايجاز .. ولكنها مدت يدها وتناولته وهى تضغط بأناملها الرقيقة على فخذه الذى انتفض مذعورا بمجرد اللمس .

وقرأت الفتاة عنوانه واعادته اليه وهى تعاود الكرة بيد انها زادت عليها أن لصقت ساقها بساقه ونظرت اليه . واحس الشيخ بشىء يشبه الحمى يسرى فى جسده ويخدر أعصابه ويثقل رأسه . وفكر ان يترك مقعده ويغادر المكان . ولكنه احس بدوار شديد خشى منه على نفسه اذا هو وقف او تحرك . وانتهزت الفتاة هذه الفرصة فرصة اطفاء الانوار وقربت كتفها من كتفه وضغطت عليه فى حنو وكلما شعرت بكيانه يرتعد ضاعفت من التصاقها به وضغطها عليه ولما تيقنت تماما بأن جسده يهتز تحت كتفها . وقدمه يرتعش بين قدميها عرفت بانه لم يعد يقوى على النطق ، فهمست فى اذنه قائلة بصوت لفته الشهوة بكسائها المحموم فتساقطت نبرات صوتها المحماة على قلبه المضطرب فرنحته :

ـ هيا بنا

وهم الشيخ ان يستجمع قواه ويضعها كلها فى راحته ليصفعها بها صفعة واحدة قاتلة ولكنه لم يجد ذراعه الذى مات بمجرد أن مسته . فنظر اليها ماخوذا فوقعت عيناه على وجه ساحر تباينت اشكال الاغراء فيه ، ونبهت فتنة تقاسيمه عيون الشيخ فرد الطرف وهو كليل وتراخى عنقه الى الامام وتراقصت عيناه وهمهمت شفتاه بنبرات تشبه مناغاة الطفل :

ـ الى اين ؟

وانفجرت أسارير الفتاة وقربت شفتيها من اذانه واحس بشىء يشبه

نسيم السحر ولكنه خفيف دافىء يقبل على اذنه ويفرغ فيها بنبرات عذبة تلقفها قلبه المضطرب المرتعش هذه الكلمة :

ـ اتبعنى

ثم انصرفت وسط الظلام ولم تنس ان تأخذ معها كتاب الفقه على المذاهب الاربعة حتى اذا لم يتبعها من اجلها تبعها من اجل كتابه .

وتبعها الشيخ مسلوب الارادة مفلوج التفكير . وسارت به من طريق الى طريق ومن شارع الى شارع ، حتى أشرفت على بيت معين كانت نوافذه وابوابه صامتة قاتمة يعلوها الشحوب وتحوطها الكآبة وفتحت الباب وقادته من يده لتساعده على اجتياز الممر الطويل المظلم ثم السلم الرطب الأشد اظلاما فصعد خلفها يتخبط فى الدرج حتى وصلت الى احدى غرفه وتلمست مكانا فى جدارها وانارت مصباحا صغيرا خافتا يماثل شحوبه شحوب الشيخ المحموم المضطرب . ومن ثم ردت الباب خلفها ورفعت خمارها والقت به وسط الغرفة ووثبت الى ذراعى الشيخ ولصقت شفتيها بشفتيه وعينيها بعينيه . آه يا لذلك الليل فى تلك الغرفة الصغيرة . ويالهاته الدعابات النسوية تخلب لب الشيخ . ويا لمخدع الخطيئة تتارجح اريكته على بساط الدنس فى لجة الليل المدلهم والصمت المخيم . والعيون النائمة ! !

وانقضت ساعات على الشيخ كان فيها العوبة فى يد امرأة سلبتـــه شعوره وتفكيره وحساسيته . حتى غدا لا يرى ولا يحس ولا يسمع الا أصداء لالفاظ كانت تقبل على اذنيه متصلة حينا ومنقطعة احيانا . ولم يميز منها الا بعض عبارات ما زال يذكر منها « والنبى انت ظريف ياسيدنا الشيخ » .

حتى انقضى الليل وآوت الشياطين الى كهوفها وخرج الشيخ بعد أن انقدها نصف الجنيه الذى كانت أمه قد كلفته أن يشترى لها به من البندر بعض صنوف المغات الجيد ، والحناء الحجازى ، والبخور المصنف المحتوى على المستكة والجاوى وعين العفريت . ولم تنس وهى تتناول منه نصف الجنيه وتناوله كتاب الفقه على المذاهب الاربعة . أن تقول له « اوعى ما تجيش انا اسمى سميرة زى ما قلت لك . ودا بيت واحـدة صاحبتى أما بيتنا الاصلى فى بحرى ورا جامع سيدى مرسى العباس . مع السلامة . باى باى يا سيدنا الشيخ »

وما ان وصل الشيخ بتخيلاته وهو يسير وسط المزارع ، هابطا درج ذلك البيت بعد الجريمة حتى عادت الدموع تنفجر من عينيه وراح يبكى بكاء مرا . ولكنه من يوم أن ارتكب ذلك الاثم وهو يكفر عنه بقلبه ويده ولسانه . ولقد كفر عن فعلته بكل ما يملك من دموع وابتهال وتضرع .. لقد وهب نفسه الى الله من ذلك اليوم . يصلى له ويصوم من أجله . ويسير وفق تعاليمه ولا يحيد عنها والله غفور رحيم . يغفر لمن أناب . ويدخل من تاب من عباده فى جنة عرضها السموات والارض .

اذن فقد غفر الله له وقبل توبته . والا لما هيا له أن يستكمل نصف دينه . وقضى له أن يتزوج فوهبه الله زوجة عذراء صالحة من أسرة كريمـة محافظة نزلت بلده ليتـزوج منها . ومن يدرى ربما لم تشن الغارات على المدن وتهاجر الناس لحكمة يعلمها الله . منها أن تهاجر هذه الاسرة الى بلده فى الريف وتجـاور أسرته وتصـادقها وتخطب له أمه منها وتتم الخطوبة . ليكمل دينه وتزدهر دنياه . فلم لا يطرح عن ظهره عبء تلك الذكرى المريرة الدامية التى ركبته اليوم . ويذهب الى عروسه وهو مرفوع القامة طاهر الذيل نقى السريرة ؟

وكان الاعياء قد بلغ منه حـدا . واحس انه فى حاجـة الى راحـة

اعضائه وقدميه . فجلس على حافة الترعة التى اسكرها الاصيل ، ورنحتها نظراته الارجوانية . وهدهدها نسيمه العبق . فنامت مستسلمة بين الشاطئين . ومن ثم حمل رأسه على راحته وراح يتأمل .

ولكنه لم ير عروسه ولم يعرف عنها شيئا . ترى هل هى طويلة أم قصيرة . ترى هل عريضة أم مكتنزة . انه حاول ان يراها منذ اليوم الذى اعلنت فيه خطوبته ولكنه لم يستطع . ان اسرتها محافظة . وابوها شيخ كبير يحترم التقاليد ويحافظ عليها ويتعنت فى السير على نهجها . لذلك لاترى نوافذ بيته مفتوحة ابدا . ولا يسمح لبناته ان يخرجن حتى ولو فى جنح الظلام . وكبرى الكبائر عنده ان يسمع صوت احداهن

ولكن امه قد تحدثت الى عروسه كثيرا . وكان يسترق السمع وهى تتحدث عنها وتصف جمالها . لقد سمعها وهى تقول للنسوة المهنئات انها حقا (ست بنت) وانها كالقمر فى الرابعة عشر من عمره وان شعرها كغزل البنات الا انه اسود هفهاف . وعينيها كشق الهلال الوليد . وفمها كخاتم سليمان الذى جمع الدنيا فى قلبه . وقوامها الطويل العريض لايدخل من باب المندرة . اما اخلاقها فيكفى انها تخجل حتى من خيالها ! !

وكان الشيخ كلما استعرض صفة من تلكم الصفات تحركت لها احدى حواسه ورأى معالمها مرتسمة امام عينيه على صفحة الماء . وما ان خلص من وصفها حتى رأى غادة حسناء تتأرجح امامه عارية على صفحة اليم وقد فردت ذراعيها وانتشر شعرها الاسود حواليها فغدا جسدها العارى كقطعة من النور تتلألأ فى الظلام الدامس . ورآها تبتسم له فى خفر . وتغمض عينيها فى خجل اسكر جفنيها . وتشيح بوجهها تأسفا على جسدها العارى وقوامها الممدود .

وما ان رآها كذلك حتى تصلبت عروقه وثارت حميته وتدفق الدم حارا ملتهبا الى وجهه . وتحفز فى جلسته لينقض عليها وما ان رآته يتحرك حتى غاصت فى اليم متوارية . فهم ان يلقى بنفسه خلفها وكادت تنزلق قدمه لولا انه ادرك انها احلام . فابتسم ضاحكا من نفسه فرحا بها وبعروسه التى تنتظره . واسرع قافلا الى الدار وكل متمناه ان يكون الامر وقفا على وجوده ليلتقى بعروسه ويزف الى دنياه .

ولم تنقض غير ساعات حتى كان الشيخ خارجا من الحمام ، مرتديا

جلبابه الجديد المخطط وكاكولته ذات الرقبة المنشاة وحذاءه الاصفر اللامع وقد لف حول عنقه (كوفية) من الحرير الابيض تدلت اطارفها الشبيكة حول صدره وكتفيه .

وتلقفته يد الاصدقاء الذين نظموا له موكب الزفة . وسار الشيخ وسط صفين من الناس تتقدمه جماعة تحمل الشموع المضاءة والمشاعل الملتهبة . وعلى جانبيه اثنان من الشيوخ زملائه يحملان باقات الورد الكبيرة التى جيء بها من البندر . وأمامه شيخ ثالث يحمل (طاسة) البخور وقد تصاعدت رائحته الذكية وعقد دخانه غمامة على راس العريس.

وسار الموكب والشيخ ينقل قدميه نقلا منتظما دون ان يهتز او يتحرك او تطرف عيناه اللهم الا حين تلقى احدى النسوة حبات الملح على راسه او (ترشه) بماء الورد المعطر ، او يطلق احدهم بندقيته فجاة بجواره اظهارا لشعور الفرح ورغبة فى اقلاق العذول فى مضجعه .

وسارت الزفة مخترقة حوارى القرية وازقتها وكلما مرت ببيت وقفت امامه لحظات مرددة الهتاف بالعريس والعروس ثم تعاود سيرها الى ان وصلت الى بيت العريس الذى بدات منه . فتعالت الصيحات . وتسابقت الزغاريد تشق طريقها الى السماء . ودوت طلقات البنادق ايذانا (بالدخلة)

واقبل الشيخ على مخدع عروسه المضاء بالشموع والمصابيح يحوطه بعض الصحاب الذين اسروا اليه كلمات واقنوه تعليمات اضطرب لها قلبه ولمعت منها عيناه اذ لابد من اتباعها وتلقفته امه على الباب وقبلته فى جبينه وربتت على كتفه قائلة: **اتجدعن اوع تنكسف . سلم عليها واكشف وشها وبوسها فى عنيها دى مراتك .**

وكانت النسوة خلفه يرددن (بيضت الشاشة يا عروسة)

ودلف الشيخ من الباب الذى احكم رتاجه خلفه وداعبت عينيه اضواء الشموع المصفوفة فى شبه دائرة على مائدة كبيرة وضعت بجانب سرير اسدلت ستائره . وقد وضعت وسط الشموع علبة نحاسية دقيقة الصنع بداخلها منديل من الحرير الخفيف الابيض مطرز الجوانب على العريس ان يتناوله من العلبة .

اشرب

كوكا كولا

الشراب الفريد

أصحاب امتياز التعبئة: مصانع تعبئة سيكو

وتقدم الشيخ خطوات ونقل قدميه لا ارادة له فيه حتى واجه عروسه التى وقفت له احتراما واجلالا. ومد ذراعه وصافحها بيد كتم اهتزازها كتما ، ومد الثانية ليكشف عنها نقابها . وقد تفزت لترى طلعة دنياه الجديدة .

وما ان رأى الشيخ الوجه الذى قابل وجهه حتى ارتعدت فرائصه. كأن صفعته يد شيطان . فاهتز كيانه . وتصلبت أساريره . وجحظت عيناه . ثم سقط على المقعد الكبير الذى كان قد أعد له وهو يردد بصوت جريح لم يسمعه الا قلبه المطعون .. سميرة ! .. سميرة !

لقد كانت سميرة هى دنيا الشيخ ..

ودنيا الشيخ أضغاث أحلام

رجل الاحسان

ضاقت ذرعا بالمضجع النابى ، واشفقت على عينيها اللتين اطفأهما السهد فتلمستهما ببنانها الذابل المرتجف ، ثم حسرت عنها غطاءها فى ضيق وحزن امضها طيلة ثلاث ليال كانت على نفسها أطول من الثمانية عشر عاما التى سلختها من العمر . واعتدلت فى الظلام على حافة سريرها الضخم الذى ملأ ثلاثة ارباع مخدعها ، ودلت ساقيها الى الارض ، فارتكزت عليهما بذراعيها ، ثم حملت راسها المحموم على راحتين لايعلم الا الله وهى مايعانيان من رعشة واضطراب . واسبلت عينيها ، واخذت تعيد فى صمت ، وللمرة العشرين ، قراءة الرسالة التى قطعت كل صلة بينها وبين الحياة والتى جاءتها منه . منذ ثلاثة ايام ، سرا كما كانت تجيئها رسائله امنه سرا ، والتى تختلف عن كل ماجاءها منه من رسائل . وعما كانت تأمل ان يجيئها منه من رسائل .

لقد انبأها فى هذه الرسالة ، او فى سطورها الاربعة ، انه لامر خارج عن طوق ارادته يقطع صلته بها ، وينفض يده من خطبتها التى كانت سرا بينهما ، وانه ياسف لهذه القطيعة اسفه على عدم تمكينه من رؤيتها قبل رحيله المفاجىء عن المدينة لتسلم مقاليد منصبه الجديد الذى يجب أن يهتم به ، ويفضله مبدئيا على الزواج ورددت شفتا ها المصفرتان المضطربتان هذه الكلمات ، ورددت ايضا تلك الجملة التى جاءت على الهامش بعد التوقيع : « **وان تكن لى رغبات فاولها ان اسمع عنك كل مايسرنى وكل مايسر الرجل المخلص** (الآنسة) **التى اتاحت له أن يقضى معها أسعد اللحظات** »

ولم ينس ان يذيل هذه الجملة ايضا بالتوقيع الذى ذيل به الرسالة ـ صديقك المخلص : سالم حمدى .

ولكن هذه الآنسة التى يشير اليها ، والتى وضع لفظها بين قوسين لم تكن كذلك الآن ، لقد وثقت به واطمانت الى وعوده ، والى احضانه ايضا ، فاتاحت له أشياء . واتاح لها (أشياء) . اتاحت له تلك اللحظات التى يعترف فيها بسعادتها ، واتاح لها تلك الليالى الثلاث السود التى تلمس شقاءها . اتاحت له لذة الظفر ، واتاح لها ... خيبة الامل !! واى خيبة تتعاظم وتعلو مفرق فتاة تدعى آنسة وهى امراة ... وتعرف بعذراء ، وبوادر الامومة تلوح لاحشائها . اى خيبة هذه ، واى هوة يرديها فيها بيديه .

ولكن ايقبل هو هذا ؟ ايرضاه . ايطمئن اليه .. ؟ انه شريف .. انه نبيل .. انه ابن لاحد البشوات الذين نجلهم .. وننزلهم من نفوسنا اسمى منزلة .. انه ... فهل يكون كذلك ؟ . وهل ترضى انامله الذى تخط هذه الرسالة ؟ وهلا تكفى وحدها ان ترغمه على الوفاء بالعهد وتحقيق الوعد .

وكفكفت عبراتها .. وتمتمت شفتاها : « **قد يكون ذلك ياسميرة .. ولكن بعد ان يذاع امرك بين الناس ، وتموت امك حزنا على فجيعتك ، وحسرة على نقيصتك . بعد ان يتوارى ابوك خجلا ، ويتلاشى اسمه الكبير المحترم الذى تردده أصحف صباح مساء بين المرشحين للوزارة ، بعد أن ينهار كيان اسرتك ، ويدك صرحها اقدام الذين لايفرقون بين الظالم والمظلوم ... بين الغالب والمغلوب ... بين الرجل والمراة .**

ولولا ذلك لما بعث اليك بهذه الرسالة .. لما اغمد هذا الخنجر فى صدرك لما خيرت بين الموت الدنيوى والموت الأبدى .

وانفجرت باكية ثم اصفت : **سميرة ! سميرة ! اذا اردت لهذه الاسرة ان ترى الشمس ، فعليك بكهوف الجبال ... واذا اردت لها الحياة فعليك بالموت .**

.. و .. ودقت الساعة ثلاث دقات كبيرة فى جوف الليل . فانتفضت فى جلستها وعلمت انها حقيقة تقلبها ، لااوهام تتخيلها ، فتتابعت دقات قلبها .

وقامت متثاقلة معتمدة على عمود سريرها الفضى ، والتصقت به ،ولفت ذراعيها عليه ، كانها تحتمى فيه او تناجيه . ثم استرسلت فى بكاء اخرس ، وعبرات بكماء انفرطت لؤلؤية على صفحة الخد الاسيل . !!

وظلت كذلك الى حين ، ثم مدت يدها وحسرت الستر الحريرى الفاصل بين السرير والحائط ، وكفكفت عبراتها وجففت عينيها . ثم ارتفقت النافذة واطلت منها على الليل الساجى والكون الشامل ، والامل العريق فى سراب الحياة . . . وحانت منها التفاتة الى الليل الرابض تحت اقدام قصرها ، وطاعها طويلا عريضا . ولكنها راته هادئا ساكنا مطمئنا كان لم يحدث فى الوجود شىء ما ، وكان عذراء لم تفجع فى عرضها ، وكان جنينا يهيأ للوجود لم ينكره ابوه .

ونظرت الى عرض النيل فوجدته شاسعا . وبعثت بطرفها المحزون الى طوله فلم تبلغه ثم انفذته الى قاعه فراته رحبا فسيحا يسع الالوف من الناس . فاطمانت . وانفرجت اساريرها عن ابتسامة حلوة فتنت النهر ، وانتشت لها صفحته الرقراقة . وكانها اسرت الى البحر اشياء ، وكان البحر اسر اليها اشياء . وكانهما انتهيا الى ميعاد فاغلقت النافذة فى هدوء . وعلى غيروعى منها نزعت (بيجامتها) الوردية الرقيقة ، وارتدت ثوبا اسود اللون ، تناسب دكنته اللثام الذى تلثمت به . ثم لما اطمانت الى حشمة زيها الذى ستستقبل به عالمها المجهول . نظرت الى مخدعها المنسق الجميل . والقت نظرة عجلى عليه . وحانت منها التفاتة الى علبة حليها الكبيرة ، وثيابها الجمة الثمينة ، فرنت اليها ثم اغمضت عينيها ، وودعتها فى صمت واغلقت عليها الدولاب فى هدوء ، ودلفت تتحسس الخطى .

ورات فى طريقها باب مخدع ابويها مفتوحا فهلع قلبها وتعالى خفقانه ولكنها هدات عندما راتهما نائمين ، فوقفت حيالهما لحظة ، والقت عليهما نظرة ، ثم تركتهما مطمئنة الى الثمن الذى ستدفعه . وذهبت الى الغرفة المجاورة : وعالجت بابها فى رفق حتى استقام لها . فرات اخويها الصغيرين مستغرقين فى نوم هادىء لذيذ ، وقد اضفت عليهما براءة الطفولة وطهرها شيئا من الرهبة التى تستشعرها بين يدى الله ، فلم تقربهما ، ولكنها انحنت على سريرهما ، وركعت امامهما . . وخشيت ان تلوث هذا الطهر ان

هى قبلتهما ، او حتى لامستهما ، فدفنت راسها المحموم فى فرشهما الوثير . وبكت فراقهما صامتة ، وسألت لهما حظا يختلف كثيرا عن حظها ثم ردت عليهما الباب وهى تسحب خيوط نظراتها رويدامن على وجهيهما ، وانطلقت الى الشارع .

واستقبلها النيل فرحا بهـا مبتسما لها ، فابتسمت هى الاخرى له ، ولـكن زادت قائلة :

« سالقاك . ولكن بعيدا .. بعيدا جدا .. حتى لايتعرف على أحد اذا لفظتنى انت الاخر ولم تكرم وفادتى . »

ومن ثم سارت فى الطريق تضرب على غير هدى ، وكلما طالعت شبحـا بعيدا فى الظلام ذهبت اليه ودانته ، وتبينته ظنا منها انه هـو يسعى اليهـا ليسترد رسالته ، ويقول لها انهاكانت دعابة سخيفة، ويستغفر عن سخافتها ولكنها لم تجد الا اشباح الاعمدة الصلبة التى اقيمت على جنبات الطريق ، توصل للناس برقهم او نورهم .

وظلت كذلك الى ان وقفت امام مبنى جميل ، كثيرا ماقادهـا اليـه . وكثيرا ماجلست معه فيه ينسجان خيوط الامال والاحلام ويهيئان من غرفاته مايتيح للبلبل الغريد ان يرجع اعذب الالحان وهمت ان تدخله كعادتهـا . ولكنها رات بابه الفولاذى موصدا بسلسلة حديدية طويلة . كانهاحية رقطاء تحميه ، وهمت ان تنظر اليها وتعالجها . ولكن شغلتها عنهـا تلك الورقة السميكة التى علقت على جانبه ، وكتب عليها باحرف كبيرة (للايجار) . نظرت الى هذه الورقة ورددت كل حرف فيها مرات،ثم انصرفت عنها تجفف عبراتها .

وبينما كان قطار (الفجر) يفرغ على افريز المحطة الكبيرة ركابه العديدين الذين اكتظ بهم دهليزها الرحب الفسيح ، كانت هى تتطلع الى لوحة كبيرة معلقة ، وتتفرس فى اسماء المحطات ، وتدقق فى الاسمـاء التى لم تكن قد سمعت عنها من قبل ، ثم اختارت من بينها اسما .

وبينما كانت أمها فى طريقها لتسالها سر ارقها طول الليل ، كانت هى فى القطار السريع تقطع الفراسخ ، وتطوى الاميال ، فى طريقهـا الى العـالم المجهول ..

ووقف بها القطار فى محطة قبل التى تنتهى اليها تذكرتها ، فنزلت فيها ، لانها وجدت النيل يستقبلها هناك فى وقت متأخر من الليل ، غفلت فيه عين الرقيب .

وانحدرت من المحطة ، وحاذت النيل ، مغمضة العينين خشية ان تخيفها أشباح الليل فتثنيها عن العزم الصادق الاكيد ، ووقفت على صخرة جاثمة فوق منحدر الشاطىء ، ثم فتحت عينيها .

وكان السماء صاحت بالارض ان تكسى أعلامك . واوقفنى دورانك اجلالا لرهبة الموت ، واحتراما لرغبة مظلوم ، فنام القمر على صفحة اليم مستسلما مستكينا ، وتضاءل النسيم وتوارى خلف الافق ، ونكس الشجر أغصانه ، وكتم انفاسه حتى لايبدى حراكا ، والنيل اخذته سنة من الكرى فنام متثائبا عند أقدام الشجر ، وخدود الصخر .

وبحركة هادئة القت عن جسدها الوشاح الاسود ، وسقطت خيوط

القمر الفضية على جسم بدا عاريا الا من غلالة رقيقة بيضاء ووجه جميل تمشت فيه سحابة دكناء ، وعينين دعجاوين ينظران فى هدوء الى السماء . وانفرجت الشفتان المرتجفتان عن آهة طويلة ردد صداها الحزين الكون الوسنان . وبعد خطوة ثابتة هوى الجسد الحزين البض الى قاع اليم !

وتوارى البدر وراء سحابة سوداء ، وانطلق النسيم صارخا كشيطان ارداه نيزك من السماء . واستيقظت الاشجار هائجة على اغصانها ، وثارت ثائرة النهر الخضم ، وهاج هائجه ، وكشف عن سريرته فارغى وازبد ، وما لبث ان قذف بها فوق صفحته ، فأرسل الله لها ساعدا قويا .

وافاقت فى ضحى اليوم الثانى من اغفائها الطويل ، فوجدت نفسها على فراش من القش ملفوفة بغطاء سميك من الصوف الخشن ، واجالت عينيها فى أطراف الكوخ المتهدم الذى احتواها ، فلمحت فى الجانب الآخر شيخا مسترسل اللحية ، مغضن الوجه مترهل الجبين العريض ، الذى انبسط فوق عينين صغيرتين نفاذتين . وقد شمر عن ساعديه وهو دائب العمل فى شبكته ، فاغمضت عينيها ، ثم عادت ففتحتهما ، فكانت حقيقة . فأسلمت أمرها لله وافضت الى الشيخ بكل ماكان من أمرها . وقص عليها هو كيف انتشلها من الماء وهو يجوب البحر بقارب صيده ، وحملها الى كوخه ومضت لحظة قطع الشيخ فيها حبلا طويلا أوصله بأطراف ابرته الكبيرة ثم قال :

ـ والآن أظنهم يبحثون عنك ، فهل أبرق اليهم ؟

فانتفضت مذعورة ، ودانته متوسلة ولثمت يده الراعشة وقالت :

ـ هل سيلفظنى صدرك أيضا . وتقذف بى أنت الآخر ؟

وفكر الشيخ قليلا ، ولمعت عيناه الهرمتان ، ثم تبللتا بدمعة طاهرة ، جالت ثم انسكبت على خده ، وقال :

ـ ولكنك لاتستطيعين أن تحيى معى حياتى هذى الخشنة .

واشار مبتسما الى شبكته ، وكوخه ، ومكتل من سعف النخيل ، به بقايا من خبز قديم متكسر . فنظرت اليه باكية ، وهى تتأمل آمالها المتوارية خلف جبينه العريض المتغضن .

وقالت :

ـ فى هـذا كل آمالى .

وزمت على شفتيها ، وزم على شفتيه ، واتصل الصمت بينهما ولكنها اعادت النظر اليه وادامته ، ثم قالت بعد حين :

ـ ولـكن اذا قبلتنى ، هل تقبل الخطيئة ؟

فابتسم الشيخ وقال وهو يجمع حبال شبكته : **واذا لم يواس المظلوم اخاه ، أيواسيه ظالمه ؟**

واذا لم يكفر الفقراء عن خطايا الاغنياء ، أيكفر عنها مرتكبوها ؟

ثم قال : **لقد كانت لى ابنه ، هى كل مابقى لى فى الحيـــاة ، غرقت فى اليم ومضت ، فلتكونى انت ابنتى .**

ومضت سبع سنوات قضتها فى صومعة الصـــياد تغسل خطيئتهـا بالدموع ، وتكفر عنها بالاستسلام المرسل للعلة الفتـــاكة التى لازمتها ، وحرمتها سبع سنوات رؤية الشمس ، ومبارحتها المـكان الذى افاقت من غشيتها فرات نفسها فيه ، ومضت سبع سنوات لم يدخل عليها فى كهفها المظلم سوى الشيخ بساعده المرتعش ، وساقه المهتزة ، وقلبـــه الـكبير ، فيسالها اشياء ،وتسأله اشياء ، ثم يدعو لها وينصرف ، وتدعو له وتذرف الدمع السخين ! وصبى فى السابعة من عمره يقضى معها الليل نائما احيانا ، واخرى ساهرا يعد بجوارها ما جمع طول اليوم من اعقاب اللفائف ، او يرتق بيده ما انفتق من ثوبه المهاهـل . وهوينظـر اليهـا ، وكلمـا ثقلت عليها العلة وتلوت فى فراشـها البالى تمتمت شفتاه (أماه) وهى تنظر اليه ، وكلما رتق فتقا فى الثوب وانشق آخر ، تمتمت (ابناه) حتى يطل عليهما الصباح كما يطل تماما على سكان القصور فيـــدخل عليهما الشيخ ، ويناول الصبى اعز ما يملك ، وماذا يملك الشـــيخ غير كسرة من الخبز المقدد والملح الخشن ، فيتنـــاولها الصبى فرحا بهـا ، مبتسما لها ، مقبلا يد متصدقها مرات ، ثم ينصرف ولا يعود الا عندما يحول الظلام بين عينيه والاعقاب المتوارية ، ثم عاد ذات ليلة وكان فرحا ،

مرحا ، متهللا على غير عادته ، واقبل على امه وقبل ثغرها المهمهم المقرور ، ويدها النائمة على الارض بلا اى حركة ، وقال :

ـ غدا ستذبح الشاة والابقار ، وتوزع الصدقات . وسناكل لحما كثيرا يا أماه . غدا سيزور مرشح الدائرة البلد وتولم له الولائم الكبيرة التى سيصيبنا بقايا طعامها الحلو اللذيذ .

فرفعت الام راسها اليه ، والقت براحتها المنهوكة على راسه ، وتطلعت الى عينيه ثم تمتمت وقالت :

ـ اتشتهى اللحم يابنى ؟.

فقال الصبى جادا : **انه لذيذ يا أماه . أتذكرين يوم أكلنـــاه فى وليمة المرشح السابق ؟**

وتراخى ساعد الأم ، وســقطت عن راس الصبى ، وادارت وجهها ، **وادارته** بغطائها البالى ، **وواصلت** نحيبها الصــامت ، **بينما** راح الصــبى يعد أعقاب لفائفه ، وهو يتلمظ ويتغنى بوليمة الغد وفرغ من عد ماكان فى علبته الصغيرة : ووضع يده فى جيبه ليخرج مابها ، فعثر على (منشور انتخابى) حدد فيه موعد الحفلة ، وكذلك توزيع الصدقات .

فالتفت الى امه فرحا وقال : ـ **أنت لاتصدقين . انظرى هاهو الاعلان اقرايه . اقرايه لى ـ**

وتناولت منه المنشور الـكبير ، وقرات فيــه بالخط العريض انتخبوا الرجل الغيور (سعادة سالم بك حمدى)

ورأرأت عيناها وزوت ما بينهما ، وقلبت دهشتها وضع الحروف فلم تنطق الاسم صحيحا ، فالقت عنها غطاءها الخشن ، واعتدلت فى جلستها قليلا ، وعركت عينيها وجففت دمعهما . ثم قربت منها المصباح الخافت وقــرات الاسم مرات . وظلت تقــراه حتى استقامت معهــا حروفه . وفهمته صحيحا ، فانفلتت من شفتيها آهة محزونة انطفأ لها المصــباح الخافت ، ورن صداها الحزين فى أرجاء الكوخ المتهدم ، واهتز جسـدها

المريض هزات متواليات ، وتصلبت أنامله على المنشور . وسمرت عينيها فى أحرف الاسم الذى اخذت ترددد فى الظلام . ثم تفرست فيه وادامت النظر ، ورات صاحب الاسم بوجهه الذى تعرفه ، وزيه الجميل ، يخطب فى الناس تحفه العظمة ، وتحوطه الهيبة ، وتشرئب له الاعناق . ثم رات خلف السرادق الكبير الذى احتشدت فيه الوف الناس صبيا صغيرا عارى الراس ، مشعث الشعر ، ممزق الثوب . وقد جمع بيده المهتزة طرفا ثوبه المهلهل على جسده ، وهو يتطلع بعينين اكلهما الصديد الى لفافة فى يد رجل ، ويترقب قذفها ليتلقفها ككلب قبع امام سيده الذى ياكل .

وتلاشت هذه الصورة على اثر هزة مفاجئة انتابتها ، فارعشت الانامل ، وخلصت منهما الورقة التى سقطت على الارض ، وهوى فوقها راس ثقيل ــ وتلمس الصبى امه فوجدها ، ولكن جثة هامدة .

وفى قيلولة اليوم وقت الظهيرة ، كان نعش محمولا على اعناق اربعة من الفقراء ، يرون فى حمل الموتى خير صدقة يتصدق بها الفقير ، وكانوا هم كل من سار فى الجنازة .

وبينما هم فى طريقهم الى المقبرة البعيدة ، قابلهم رتل من السيارات يحمل عددا غفيرا من الناس ، تخفق على رؤسهم البنود والاعلام ، وعقد قوس النصر مصنوعا من سعف النخيل ، وفى وسطها جلس مرشح الدائرة الجديد .

ووقف الموكب حتى مرت الجنازة ، ولفت نظر سعادة المحتفل به أن شيخا يتبع النعش باكيا ، ويحمل على صدره المكدود طفلا يولول وينتحب ، فاستوقفه وساله عن سر بكاء الصبى وانتحابه ، فأشار الشيخ بيده الواهية المرتعشة الى النعش البعيد وقال :

ــ ان امه قد ماتت .

فنظر البك الى الصبى ، والشيخ الباكى ، ثم نظر الى النـاس ، ولما تحقق من ان عيونهم مصوبة اليه ، اخرج حافظته وناول الصبى جنيها .

واذا بهتاف الجماهير يشق عنان السماء : **يحيـا رجل الاحسان !! يحيا رجل الاحسان ...**

كتابنا القادم

شيخ المنافقين

أحدث مجموعة من قصص

الاستاذ احمد الصاوى محمد

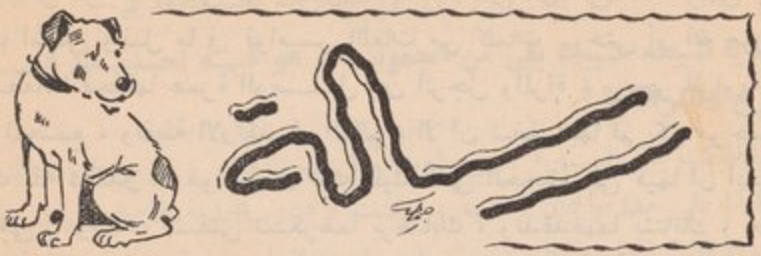

.... وبعد تفكير طويل تناولت القلم واخذت تكتب :

لو انك استطعت أن تسأل القلم الذى كتبت لك به هذه الرسالة : كم من الوقت ظل مستسلما لاناملى فى صمت ، دون ان يقوى سنه على الدنو من الصحيفة ليخط عليها حرفا واحدا ، واستطاع هو أن يرد عليك : لاجابك ثلاث ساعات كاملة ، بدأت من الثالثة صباحا حتى اقبلت أول قاطرة ترام تهز بدويها نوافذ شارع الخليج ، وتزف الى اللائى كحل السهد جفونهن من سكانه بشرى انبثاق الصبح على نهار يأملن فيه تحقيق الامانى .

وليس هذا تهيبا يا فؤاد ولا هو تصورا ، فالجمل كانت تتسابق ، والعبارات تتلاحق ، الكلمات تكاد تقفز من بين شفتى ، وتنقر نفسها نقرا على الصحيفة التى ستحظى ، ولو لحظة ، بنعمة التمتع بأناملك التى مالامست جسدى مرة الا واغرقته فى بحر من لذاذات النشوى الفياض ، وهيأت له خلاصة ما تشتهيه المرأة فى الوجود من لحظات تمر بها .

اذن فيما قضيت ذلك الوقت ، وقطعت تلك الساعات الثلاث ... فى تخيلى جمال تلك الكلمة الحلوة التى اردت ان ابدأ ، ولاول مرة ، بها رسالتى . والتى هى عزيزة عليك ، حبيبة الى نفسك ، والتى هى

(زوجى) ... اوه زوجى ، ما احلى هذه الكلمة ، وما اعذب رنينها فى اذنى ، بل وما احوج شفتى الى ترديدها دائما ...

وليس مرجع شغفى بها لسمو معناها ، او نبل مرماها . فهى وان كانت اسمى وانبل ما فى قواميس اللغات من كلمات . حتى ان الله ميزها واصطفاها فجعلها همزة الوصل بين الرجل والمراة ، وحجر الزاوية فى بناء المجتمع ، ونقطة الارتكاز فى العالم ، الا ان شغفى بها لم يكن مرجعه لذلك كله ، بقدر ما هو لجمال تلك الليلة التى الححت على فيها ان ادعوك بزوجى . وظللت بشفتى تسكرهما برضابك ، وتدغدغهما بثناياك ، حتى انجرحتا وفاهتا لك بها .

هل ما زلت تذكر تلك الليلة ؟ .. وهل تذكرها جيدا ، وتذكر ظروفها وحوادثها التى حدثت تباعا ، وبسرعة غير منظورة او مالوفة ... اما انا فما زلت اذكرها ، واذكرها جيدا . اذكر وقتها ولحظتها كما لو كنت ما زلت اعيش فى وقتها ولحظتها . وهل تنسى المراة اللحظة التى تمر بها مرة واحدة فى حياتها ؟

من قالت لك غير ذلك فهى كاذبة .... شيئان لا تنساهما المراة : القبلة الاولى .. والزوج الاول .

اما القبلة الاولى فلانها اول شرارة تشعل انوثتها ، واما الزوج الاول فلانه اول بحر وقى انوثتها عوادى الاحتراق .

... اذن كيف انسى ؟

هل انسى اصيل ذلك اليوم الذى جاءتنا فيه شقيقتك الهام ، واستاذنت امى فى ان اذهب معها الى حفلة عرس لابنة خالتها مديحة ، وربما مكثنا هناك الليلة كلها. وقد قبلت امى بعد لاى ، وبعد ان تاكدت من ان امك ستصحبنا الى هناك ، وسوف لا ترجع الابنا ، وما ان دلفنا الى السلم ؛ ورحنانهبط درجاته فى سرعة ، حتى اطلقت الهام ضحكة خبيثة ، اردفتها بقولها وهى تضغط بيدها على ذراعى الممسكة بها :

ـ ايه رايك في المؤامرة دى ؟ لا فرح ولا يحزنون .

ولما اظلمت المفاجاة جبيني واوقفتني ، اطلقت الهام ضحكة اخرى ، وقالت هى تجذبنى جذبا وتقودنى الى سيارتك ذات المقعدين :

ـ يا شيخه سيبك بقى من الجمود ده. هو فيه أحسن من السهر والفرح والفرفشة !

وانطلقت بنا السيارة حتى بلغت بنا باب الخلق ، فوجدناك هناك في انتظارنا على مدرج دار الكتب . وكنت ترتدى البذلة الكحلية والكرافتة الحمراء التى انتقيتها لك يوم ان ذهبنا معا لأول مرة الى شيكوريل .

... اوه ماذا اذكر . . اذكر لك . حتى توافه الامور . واقول لك اننا ذهبنا بعد ذلك الى السينما وان الهام استأذنت منا بحجة انها على موعد مع سميرة وكيكى وامها فى سينما مترو ، وربما عادت بهن الينا قبل ان نخرج .

ان فى ذكر هذه التوافه ، ولا سيما اليك ، ثرثرة مملة. اذ كيف اقص عليك قصة انت خالقها ، واروى لك حادثا انت مدبره ، وغير ذلك فانى ارى فى التغاضى عن هذه التوافه لذة كبيرة ، لاننا بذلك نضع يدينا ، وبسرعة على نافذة الحقيقة التى نطل من ورائها على الدنيا العريضة ، والحادث السعيد الذى ربط حياتنا ودعم سعادتينا بدعائم الهناء الأبدى .

والذى اذكره الآن وتذكره انت معى اننا بعد ان خرجنا من السينما ، وانطلقت بنا السيارة فى طريقها الى منشية البكرى ، حيث مسكنك الخاص الذى اعتدت ان تقضى فيه اوقات فراغك ، وتستجم فى هدوئه من عناء اعمالك المرهقة فى الوزارة ! بعيدا عن ضوضاء البيت الكبير ، انك قلت لى ونحن نجتاز مدخل الحديقة :

ـ انظرى حتى القمر يبتسم لمقدمك .

هممت ان انظر الى القمر ، ولكن شغلنى عنه ضوءه المنعكس على شعرك اللامع ، فوقفت اتطلع اليه ، ووقفت تتطلع الى .

ثم عدنا فواصلنا السير الى ان احتوانا المسكن ، وآوتنا الوحدة ورحنا فى صمت ننسج منه خيوط السعادة ، ونضفر شبكة الهناء ، دون ان نشوش على تفكيرنا بشىء ، حتى بلغ من حرصنا على مواصلة الصمت ، اننا ، ونحن على المائدة ، كنا نتناول العشاء فى سكون وتؤدة حتى لانحدث حركة تحول بيننا ولو لحظة فى وضع خيط من الخيوط فى الشبكة . اللهم الا كلبى الصغير فهو الذى كان يداعبك فى تلك الليلة على غير عادته ، وينظر اليك نظرات مبهمة لم اتعودها انا منه . وكلما تغاضيت انت عنه واهملته ، قفز مرة على صدرك ، واخرى على كتفيك ، وثالثة يدس راسه الصغير فى اذنيك ، كانه يريد ان يسر اليك اشياء لا يود ان اسمعها . وكلما زجرته انت وابتعدت قليلا ، عادثانية ، الى ان ركلته بقدمك ركلة قاسية ، راح يتلوى على اثرها امام غرفة مخدعك التى تمدد على بابها ، وقد وضع راسه على الارض وراح ينظر الينا وكانه يبكى .

ولما اردنا ان نجتاز باب مخدعك لترينى اثاثه الجديد الذى ابتعته

حديثا ، هب فى وجهك وكانه ينهرك او ينهاك . بيد انك عدت فركلته ركلة اخرى لاتقل قساوة عن الاولى ، أودت به بعيدا وهو يتأوه . وكانه جندى مثخن بالجراح . ثم دلفت بى الى الغرفة واحكمت رتاج بابها الداخلى . ولما سالتك لماذا اغلقتها ؟ قلت ضاحكا وانت تنفث دخان لفافتك ـ لنامن شر الكلاب .

والغريب اننى اكتب لك عنه الآن وهو قابع امامى على المنضدة التى اكتب لك عليها ، ينظر الى نفس النظرات التى يوجهها اليك .

ثم رحت ترينى اثاث غرفتك التى نظمتها على طراز جديد . وانى اصارحك القول اننى لم ار فيها شيئا ، ولم اعرف لقطعة من اثاثها لونا . اذ قد انتابتنى فى تلك اللحظة التى أغلقت فيها الباب فكرة خبيثة تملكتنى واستولت على ، حتى موهت شتى المرئيات فى عينى ، الا لونها الاسود الذى ظل فى نظرى قائما ، ورحت انظر اليك فى خوف ، أوبمعنى اصح ، وقفت حيالك مرتعدة لاهثة القلب من فرط الاضطراب ، وقد ادركت انت ذلك ، فاسرعت الى وطوقتنى بذراعيك ، ورحت تطمئننى وتهدىء من ثائرتى ، فى حين انك كنت من ناحية اخرى تستنهض همتى وتستذل قواى .

وفجاة وانا بين يديك ، شعرت بشىء غريب فتح عينى ، ولكن على ذلك الشىء الاسود الذى ارتعدت منه ، وجسم لى ، حتى كدت أرى بعينى مهد الجريمة ومخدع الاثم ملوثا يقطرمن دمى المسفوك . فانذعرت وافلت من بين يديك محتمية بجدار الدولاب الفرعونى الكبير . وظللت كذلك ارتعد وانظر اليك فى خوف نظرة الشاة الضالة المغلوبة الى ذئب الصحراء المفترس ، حتى كدت أسقط عند قدميك ، لولا انك ادركت ذلك ، فاقبلت على فى شهامة ونبل ، واعلنت امام الله الذى يرقبنا نبأ عقد خطبتنا ، قائلا وانت تحتوى جسدى الخائر المنهوك بين ذراعيك القويتين : انك اليوم زوجى امام الله ، وغدا امام الناس .

وهنا جحظت عيناى ، وراحتا تحدقان بك ، حتى غام بياضهما

رويدا ، وانقفلتا على سبات لذيذ ، لم أفق منه الا على عواء كلبى الصغير خارج الغرفة ، ونباحه المتقطع وهو يطرق علينا الباب طرقا متواصلا ، حتى كاد يدمى مخالبه ...

أوه مالى ولهذا كله ، فما كتبت لك من أجل هذه الذكريات العذبة ، وانما كتبت لك ردا على رسالتك السابقة التى بعثت بها الى من مصيفك فى الاسكندرية .

تقول أن سبب عدم اعلانك الخطبة واتمام الزفاف بالسرعة التى أرجوها هو رغبتك فى ان تهيىء لنا مسكنا خاصا بعيدا عن مسكن الاسرة ، لانك تخشى أن أمك وشقيقاتك ينغصن على فى شىء ... اما الهام وسميرة فعما قريب ستتزوجان . اما أمك ، أوبالمعنى الاصح ... « حماتى » .

أوه ... اننى اضحك ... اتدرى لماذا اضحك ؟ .. لاننى اتخيل نفسى معها فى عيشة واحدة ... واتخيلك عندما تعود الى الدار وتشكو لك منى فتنهرنى امامها . وعندما تخلو بى تربت على كتفى قائلا :

ـ اننى انما انهرك امامها فقط ـ فارد عليك من قلبى قائلة : وغير امامها يافؤاد . فما احب الى من ان تصفعنى من اجلها ، ولو كان الخطأ فى جانبها .

فمن هذه الناحية ثق اننى ، كما قلت لك دائما ، ليس احب الى قلبى من ان أكون خادمة لمعارفك ، بل أمك وشقيقاتك .

وغير ذلك يافؤاد يخيل الى انك تناسيت السر فى الحاحى عليك بسرعة انهاء الزفاف .. لقد مضى على تلك الليلة شهران ، والحادث المنتظر بدا يعلن قدومه .. اننى ليلة البارحة لم انم لاننى شعرت به ، لاول مرة ، يثبت وجوده ، وكانه يدغدغ احشائى بانامله الحلوة التى لم تخلق أظافرها بعد .

اتدرى ماذا أريد ان أسميه ؟ .. عادل .. وهل تدرى لماذا اخترت

له هذا الاسم ؟ لانه من اسماء الله الحسنى .. الله الذى من على بك وقضى لى بتلك السعادة الانهائية والفرحة غير المجدودة .

أرجو ان يكون ـ البلوفر ـ الذى ارسلته لك قد اعجبك .. كنت امس عند صيدناوى اشترى لك بعض حاجات خاصة تلزمنا ، فاعجبت بلون جديد من الصوف ابتعت منه كمية . وها أنا اشتغل لك فى واحد آخر سهرت فيه ليلة البارحة حتى الرابعة صباحا .

والى أن نلتقى كوعدك ، صباح الاربعاء ، على رصيف محطة القاهرة فى القطار الذى يصلها السابعة والنصف مساء ... أبثك آحر قبلات ... زوجتك

حسنية

* * *

ولما انتهت من كتابة هذه الرسالة اعادت تلاوتها مرة ومرة . ولما ارتاحت اليها طبعت عليها قبلة اودعتها كل ماتستطيع الزوجة أن تحمله لزوجها ثم الصقت عليها طابع البريد .

ولكى تستوثق من وصولها تسللت من الدار خلسة ، يصحبها كلبها ، والقت بها فى صندوق البريد المجاور للدار . وعندما رجعت قابلها بائع الصحف ، فالقى اليها بجرائد الصباح التى تعود والدها أن يتصفحها وهو يشرب القهوة فى السرير عندما يستيقظ ، فتناولتها منه ، ثم راحت تصعد الدرج فى خفة ورشاقة حتى بلغت السرير ، فاستلقت عليه تعبة من طول السهر .

وبعد حين ، وعلى غير قصد منها ، تناولت الصحيفة ، ودون أن تعى اخذت تقرأ هذا الخبر من صدر الاجتماعيات :

« سافر اليوم الى فلسطين الاستاذ فؤاد بك الشافعى ، وعروسه عنايات هانم فهمى كريمة سعادة أبو العينين بك من سراة الاسكندرية ، لقضاء شهر العسل ، وكان فى توديعهما على رصيف المحطة الكثير من وجهاء الاسكندرية واعيانها .

شيء واحد هو الذى كان يشغلهـــا بعض الشيء عن الصـــحيفة التى استماتت عليها اناملها ...

ذلك هو كلبها الصغير الذى تحولت نظراته الحيرى الى دموع انسابت على فـكيه .

كتـــابنا القـــادم

شـــيخ المنافقـــين

أحدث مجموعة من قصص

الاستاذ احمد الصاوى محمد

وقفت ذاهلة تتلفت حواليها كانها غريبة عن المخـــدع الذى احتواها ثلاث سنوات كاملة . أو كانها تبحث عن شىء تجهله ولا تعرفه ومع ذلك هى فى حاجة اليه . واخيرا تيقنت انها انما تبحث فعلا عن شىء تعرفـه هى فى مسيس الحاجة اليه . ومن ثم راحت تبحث عنه فى كل مكان . ولـكنها لم تجده شانها فى كل مرة تبحث عنه . أو شانها منذ بدأ هو يبحث عنها ويطلبها فى كل مكان ويلح فى هذا الطلب الحاحا . اكفهر وجهها وبرقت عيناها وراحتا ترسلان شعاعا غريبا كانه الحمم او كانه الالم . أو كانه ذلك الشىء الذى تبحث عنه ولم تجده ويبحث عنها ولم يجدها .

والغريب انها عندما فكرت فيه طويلا هذه المرة وبدات تتخيله وتعثر عليه عفو المصادفة وتراه مجسما امام عينيها . انذعرت وقفلت راجعـة حتى لاتراه ولا تجده ولا تعثر عليه بيد انها تعثرت فى خطواتها وكادت ان تسقط لولا انها القت بجسدها القاء على أول مقعد قابلها فتكومت عليـه كحزمة من القش القى بها ريثما تحترق .

وظلت كذلك حينا ثم أتت بحركة لا ارادية فارتكزت بمرفقها على حافة المقعد المستطيل المستلقية عليه والقت برأسها الصغير الملتهب على راحتها المرتعشة ومن ثم ارسلت بصرها ثانية يبحث فى الفضاء الممتد امامها عن

ذلك الشيء الذى هى نفسها لاتعرف ان كانت توده أم تأباه . تحبه او تبغضه . ترضى به أم تسخط عليه . غير أن بصرها الخائف المتوجس كان لايستقر على شيء فقد كانت شتى المرئيات تنعكس عليه متلونة كالحرباء فمرة صفراء واخرى سوداء معتمة ومرة ناصعة البياض واحيانا قاتمة كلون الليلة التى قضتها .

وظلت كذلك ترسل النظر صامتة لاتبدى حراكا او تحدث حركة تشوب السكون الرهيب الشامل الذى اكتنفها اللهم الا انفاسها الملتهبة التى كانت تتصاعد حارة حتى لتكاد تمزق صدرها وتحرق شفتيها وما يقابلهما من يد تئن تحت ثقل الراس المحموم المضطرب الذى تحمله .

وفجأة دوى فى قلب السكون الرهيب المخيف صوت الساعة الكبيرة المعلقة فى البهو تدق دقة واحدة . فانذعرت أثر هذه الدقة وتكورت في جلستها كمن باغتها الخطر على غير انتظار . وظلت كذلك ترتعد وتصطك . ولكنها بعد جهد جهيد لم تشعر هى به حركت جيدها الاتلع الذى صهرته حرارة الراس المحموم وحولت نظراتها المرتعبة ناحية الباب المفتوح ثم انفذته الى الساعة المعلقة فاذا بها الثامنة والنصف ..

ـ الثامنة والنصف ... ولم يبق سوى نصف ساعة فقط ..

وجحظت عيناها وانشكت نظراتها فى عين الساعة الدائرية وعقاربها الثلاثة التى تمثلت لعينيها كثعابين ضريرة تسعى فى الظلام .

ـ ما أبغض هذه الساعة .. وما أسمج ظلها أبهذه السرعة أتت على الثامنة والنصف ... ترى هل هى الاخرى تتآمر على .. أم ترى الزمن نفسه يتسابق للاشتراك فى الجريمة ... حتى الزمن يتآمر مع المتآمرين على .. على .. على قتل امرأة .

واسبلت هدبيها ودفنت وجهها المضطرب بين يديها المرتعشتين وانفجرت باكية بكاء مكتوما لايكاد أنينه يبلغ اذنيها . وظلت كذلك زمنا جففت فيه دموعها التى انسابت باردة على وجهها الدافىء

ـ ولكن فيم هذا الاضطراب .. فيم هذا الهوس الجنونى الذى أحطت نفسك به . فيم هذه الحياة القاتمة التى تحيينها منذ بدء تفكيرك فيه .

ـ اننى استهول الجريمة .. استفظع الخيانة استفظع لقاء زوجى .. زو .. زوجى .

واسبلت هدبيها وانفجرت باكية . وانسابت دموعها الباردة على وجهها الدافىء .

ـ كيف القاه .. كيف انظر اليه .. بل كيف ادع احضانه الطاهرة النقية تلوثها قذارة الجسد الذى سيفرقه الاثم عما قليل فى المستنقع الدنس وتلفه الرذيلة بلسانها العفن بعد دقائق .

وبرقت عيناهاواتسعت حدقتاها وتمتمت :

ـ لا .. هذا لن يكون .. هذا لن يكون ولن يحدث .. كيف يحدث يا جليلة ! !

وهمت أن تقوم من مقامها ولكن قواها المتراخية خانتها فعادت واستسلمت للمقعد المتكومة عليه .

ـ ولكن ما الذى جعلك تتورطين هذا التورط . ما الذى جعلك تصغين الى هذا النداء الاصم الذى الهب تفكيرك .. ما الذى جعلك تسمحين لقدمك الطاهرة أن تسعى فى الظلام على جسر الخطيئة حتى لم يعد بينك وبين الفرق سوى أمتار سوى أقدام .. سوى دقائق .

ورنت الى معصمها فرات السوار الذهبى الكبير المحلى به . وانعكست أضواؤه اللامعة البراقة على عينيها تداعبهما .. وهالها جمالها . وجمال معصمها . واطربتها كلمات الاطراء التى سمعتها عنه .

ـ وهل هذا فقط .؟

وتسللت نظراتها الى ما وراء الدولاب فرات الثوب الصوفى المزركش

الذى ارتدته مرة فالهبت الغيرة منه قلوب اترابها وصويحباتها . حتى اللاتى هن أشد منها ثراء وغنى .

ـ وهذا .. وهذا الفرو الثمين الذى بلغت تكاليفه اكثرمما تتصورين. والذى ما ارتديته مرة الا وحسدت نفسك عليه .. ثم .. ثم هذا المظروف المودع بين طيات الثياب .. ما الذى بداخله .. ما الذى به ..

ـ كل هذه التحف قدمها اليك من شهرين . كل هذه الهدايا اغدقها عليك ولما يلتق بك بعد . أو يحادثك مرة على انفراد .. أو حتى على غير انفراد .. فما بالك اذا انجزته الوعد والتقى بك الليلة . وفق الترتيب الذى دبرته أم بيومى .. أم بيومى . يالها من داهية عجوز كيف استطاع بعد أن رددت على محاولته .. بعد أن حرمت على نفسى النافذة المطلة على شرفته .. بعد أن أوصدت فى وجهه جميع النوافذ والابواب .. بعد أن مكثت الشهور لا أرى النور حتى لا أراه . وارى تلك الابتسامة الماكرة .. تلك النظرة المرعبة التى كانت تلتهم جسمى التهاما . كيف استطاع بعد ذلك كله أن يعثر على هذه الشيطانة التى تمكنت بدهائها أن تطرق بابى ثم قلبى ثم تزيل الكلفة بينى وبينها ثم استطاعت بسحر حديثها وقوة اغرائها . أن تجعلنى أذوب شوقا اليه لمجرد ذكر اسمه ثم جعلتنى أكثر من ذلك . جعلتنى انا التى افتح النافذة بيدى .. وأنا التى اقف فيها بالساعة والساعات ارقب أوبته . أراه وهو يسير مختالا فى خطوات منتظمة مزهوا بتلك النجوم التى حلى بها كتفيه .

ـ ولكن ليت الامر وقف عند هذا الحد ولم تفز منك تلك الحية الرقطاء بموعد الليلة . لقد جعلتنى تحت تاثير نشوة حلوة من نشوات حديثها الساحر .. وفى غمرة من غمرات اللذة بالوعود الخلابة أن أضرب له التاسعة من هذه الليلة موعدا للقائه .. سيمكث معى الى الحادية عشرة .. أى الى ما قبل موعد القطار بساعة ... سيمكث مع .. مع من ؟ ..

ـ معك انت!

وتشنجت أساريرها وجمد الدم فى عروقها وجحظت عيناها . والتصقت اهدابها الطويلة بحاجبيها كانهما يمنعان جبينها من السقوط وتمتمت :

ـ معى أنا ..؟

ـ وهنا وفى مخدع زوجك يا جليلة !

وكأن سهما أصاب قلبها ولكنه لم يصبه . فغادرت المخدع هلعة فزعة صارخة .

ـ لا .. هذا لن يكون . هذا لن يكون ولن يحدث .. كيف يحدث ؟

واسبلت هدبيها وانفجرت باكية وانسابت دموعها الباردة على وجهها الدافىء .

ـ لو يأتى زوجك الليلة على غير عادته .. انه من يوم أن هاجر بك الى هنا خوف الغارات لم يسترح يوما . يسافر الى المدينة فى السادسة صباحا ولا يعود الا فى قطار منتصف الليل .. ولكن ماذا يحدث لو أخلف الميعاد هذه الليلة .. لو جاء الان .. هذه اللحظة . اذن لانقذك من الموت .. وانتشلك من الهاوية ..

لرحلت به الى المدينة حتى ولو مزقت جسدك شظايا القنابل .. اليست القنابل وان مزقت جسدك وجعلته يتطاير هباء على ذؤابات النيران المندلعة . أهون من الخيانة التى تجعله نهبا للذئاب الضارية .

اليست السكين وهى تقطعه . أخف عذابه من الضمير وهو يؤنبه ؟

ـ آه .. ليت زوجك يا جليلة يعود الليلة على غير ميعاد .. اذن لعرف الليث كيف يذود عن عرينه .

ـ ولكن لماذا لاتردينه انت . وتذودين انت عن عرين الاسد . لماذا لاتصفعينه على وجهه ان أراد بك سوءا !؟ لماذا لا توصدين الباب فى وجهه ولا تصغين لهذا النداء الآثم الذى يكاد مجرد سماعه يقطع نياط قلبك .. لماذا .. لماذا . لاننى امرأة .. لاننى امرأة .

ـ هذه أوهام .. هذه خيالات .. ان المرأة هى بذرة المكر والدهاء .. هى شجرة الختل والرياء .. هى القوة الغاشمة التى تستمد هوسها من الشيطان ..

ـ هذه نعوتهم .. هـذه أضاليلهم .. المرأة أوهى قلبـا من خيوط العناكب .. مشكلة المرأة انها متعة .. ولذلك هم يضفون عليها كل هذه الاكاذيب .. ويحوطونها بكافة هذه الاباطيل ويصفونها بالدهاء والمكر والقوة .. لكى يوهموا انفسهم عندما يظفرون بها انهم انما ظفروا بشىء ثمين .. والا ها اننا ..

واسبلت هدبيها وانفجرت باكية وانسابت دموعهـــا البـــاردة على وجهها الدافىء .

وعلى حين فجاة سمعت شيئا كأنه الخطى . فانذعرت وتداخلت فى ثيابها وتتابعت دقات قلبها واسترقت السمع واجفة راجفة ترتعد .

ـ ولكنها شبيهة بخطوات زوجك يا جليلة .. وانصتت ..

كتـــابنا القـــادم

شـــيخ المنافقـــين

أحدث مجموعة من قصص

الاستاذ احمد الصاوى محمد

ـ وافرحتاه انه هو ..

ـ ان الله قد بعث به اليك لينقذك . ليدفع عنك السوء

ـ ولكن أحقا انه هو . ؟ وعادت تسترق السمع .

حقا انه هو .

وغمرتها فرحة النجاة . فراحت تقبل حتى أناملها المرتعشة . حتى المنديل المبتل بالدموع الذى فى يدها وانفرجت أساريرها . وعلت ثغرها الشاحب ابتسامة سرى نورها فى كيانها المنطفىء فاناره .

ـ رباه ما أكرمك .. ما افضل نعماءك قد بعثت به الى .. لقد انزلت الى من السماء ملكا .. وفتحت الباب فرحة جذلة . وهمت ان تلقى بجسدها المرتعش المحموم فى احضانه .. لتتلاشى فيه .. لتختفى به .. لتسر اليه شيئا .. استغفر الله بل أشياء .

ولـكنها رات امامها أم بيومى .

وراتها تبتسم لها تلك الابتسامة الصفراء السخيفة التى لاحت لهـا هذه المرة اشد اصفرارا وهى تمعن النظر فى عينيها الضيقتين ، وفمهـا الاسود الغائر الشبيه بفجوة ضيقة فى قبر مهجور .

واختلجت عيناها وهى تنظر .. وارتعشت شفتاها وهى تمتم ... وهمت ان تقول شيئا لولا انام بيومى انشغلت عنها قائلة . وهى تغمزها بعينيها وتفسح الطريق .

ـ سعادة قبك .... اتفضل .... شوفى ازاى الدنيا منورة .

كان المساء قد اقبل . وكان لايزال فى مكانه من الشاطىء بعيـــدا عن المدينة حيث الهواء الطلق الخفيف والهدوء الشامل الذى يساعـده على حل طلاسم كتبه المعقدة واســـتظهار ما غمض عليه من كتابى الفته على المذاهب الاربعة وشرح الفيه ابن مالك . ولما اقبـل الليل وحال غبش المساء بين عينيه وتلك الحروف الباهتـة المتآكلة طوى الكتاب ووضع قطعة القلم الرصاص التى كان يؤشر بها على الصفحات الصفراء الشاحبة فى طيات عمامته وراح يسير فى الطريق متمهلا يخب فى جلبـابه الازرق المخطط وكاكولته الخضراء التى بهت لونها من الشمس وتقلب الاجواء .

واحس وهو فى الطريق بثقل راسه المتعب من كثرة البحث والاطلاع ، فمسح بيده عليه وارسل نفسا حارا اعقبته انة خافتة مبعثها الاســـف المرير على عينيه اللتين كادتا تضـــيعان بين تلك الحروف المتآكلة وذلك المصباح الزيتى الخافت الذى يضفى نوره الشاحب على الصفحات الصفراء لونا كانه الانقباض الذى يعتريه عندما يفتح الاجرومية او متن اللغـة او يتصفح المسالك الى الفية ابن مالك . ومع هذا الجهد الذى يبذله والليالى الطوال التى يقضيها ساهرا . فهو لم يخلص بعد من هذا العناء ولم يدر متى سيخلص منه ويحصل على تجهيزية الازهر ويســتريح .. ولـكن الله القادر على كل شىء قادر على ان يخلصه ويريحه .

وما ان خطر له اسم الله ورددته شفتاه ، حتى راى فجاة نورا متلألئا

ينبعث من مئذنة احد المساجد . ولاحت المئذنة له من بعيد مزدانة بالثريات التى راحت اضواؤها تداعب عينيه فى لذة خالصة . وهنا خطر له خاطر لمعت عيناه وانفرجت له اساريره .. ان يصلى العشاء هذه الليلة جماعة فى المسجد ، فصلاة الجماعة مفضلة وخصوصا فى هذه الليلة المباركة . ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم ليلة القدر التى هى خير من الف شهر . والتى تفتح فيها أبواب السماء وتستجاب فيها الدعوات . عسى الله تعالى ان يستجيب دعاءه ويهيىء له من امره رشدا فيخلصه من هذا العناء ويتوب عليه من دروس الشيخ الدمرداش ، واسفار القلقشندى ، ومؤلفات ابى الاسود الدؤلى ومن أوضح المسالك الى الفية ابن مالك التى لم يفهم فيها شيئا ولن تتوضح مسالكها لعينيه ابدا

ولما بلغ المدينة أخرج ساعته النحاسية الكبيرة وكشف عنها ذلك الغطاء الصوفى الذى يقيها عوادى الصدأ والكسر فاذا بساعة باقية على صلاة العشاء فأين يمضى هذا الوقت اذن .. انه ان ذهب الى مسكنه المتواضع فى تلك الغرفة الرطبة المظلمة فى بدروم منزل أم طنطاوى ربما قضت تلك المسافة الطويلة بين الدار والمسجد على عزمه وتكاسل عن الصلاة ... او ربما شغلته تلك المنضدة المتآكلة وما عليها من سراج خافت شاحب مكتئب وكتب جمة متناثرة هنا وهناك فينكب عليها حتى الضباح كعادته كل ليلة .. واذا ظل خارج الدار الى موعد الصلاة فأين يذهب . انه لم يؤم منتدى عاما فى حياته ، حتى القهوة لم يذق لها طعما ولم يعرف لماذا يشربها الناس . أما الشاى فلم يذقه فى حياته الا مرة واحدة يوم ان ترك نافذة غرفته مفتوحة فأصيب بنزلة معوية عالجتها له أم طنطاوى بكوب شاى وليمونه .. خير له ان يسير متمهلا فى الطريق يقطع بعض شوارع المدينة وميادينها العامة حتى موعد الصلاة فيوجه وجهه شطر المسجد متوكلا على الله .

وكانت المدينة فى تلك الليلة مرحة فرحة بزوال خطر الغارات مبتهجة بالليلة الشريفة ـ ليلة القدر ـ

فبدت فى حلة قشيبة زانتها الثريات والاضواء . وسر الشيخ هذا المنظر ، فأخذ يسير متمهلا متأملا فى شتى المرئيات . وكلما راقه حانوت يدال زينت فترينته واكتظت بـ (فطرة) العيد وقف قليلا يمعن النظر

فى البندق واللوز و (عين الجمل) ثم ينصرف الى بائع الكنافة فيتأمل حينا الوان الورق الاخضر والاحمر والبنفسجى التى صنع منها قبابا وطائرات هوائية تحلق فوق الصينية

وهكذا ظل يتنقل من حانوت الى غيره ومن شارع الى آخر الى ان وصل الى احد الميادين العامة فراى من بعيد دارا من الدور كانت فى زينتها وقوة الاضواء المنبعثة منها ابهج ما شاهد فى ليلته وراى جمهورا كبيرا من الناس يهرع اليها ويتدفق على بابها حتى ازدحم مدخلها ازدحاما يلفت النظر فذهب هو الآخر ليرى ذلك الشىء الذى يقبل عليه الناس هذا الاقبال . وما ان اقترب منه حتى طالعته تلك الاعلانات الكبيرة التى لصقت على ابوابها فعرف انها دار التمثيل فى المدينة وان احدى الفرق الجوالة ستلعب فى ساحتها هذه الليلة وراى فيما راى بعض الاعلانات والصور الكبيرة التى تمثل ابطال الفرقة فى اوضاع مختلفة . وراى من بينها صورة كبيرة لراقصة الفرقة فى وضع مغر من اوضاع الرقص المثير فتفرس فيها قليلا ، وما ان راى الثوب الخفيف الذى لا يكاد

يحجب حتى مواطن الاغراء المسموم من الجسد المتخاذل المتثنى حتى اشمأزت نفسه واشاح بوجهه عن هذا الخزى الفاضح والاثم المزرى بكرامة الدنيا والدين . ووقعت عينه على شباك التذاكر فالفى الناس تتهافت عليه تهافتا جنونيا وتدفع بعضها لتصل اليه فوقف مندهشا متعجبا من هؤلاء الذين يقبلون هذا الاقبال على دور اللهو واماكن الفحش والرذيلة بينما بيوت الله تكاد تكون خالية الا من الفقراء والعجزة وذوى العاهات . وهم ان يبصق على اخلاق الجيل وان ينصرف الى هؤلاء العجزة والفقراء الذين كشف الله عن بصيرتهم فاستبدلوا الآخرة بالدنيا وكانوا من الرابحين . واذا به يسمع فجأة صوتا خفيفا كانه النسيم لينا كانه الهمس يناديه وينادية باسمه الكامل الصحيح فالتفت فاذا بوجه ساحر كانه القمر ، فاتن كانه الدنيا فلم يصدق ففتح عينيه فاذا بامراة تقبل عليه اقبال الشذى العطر وتمد له يدا حلوة لينه وتصافحه فى حرارة وتشد على يده فى شوق . حدث كل ذلك فى لحظة هائلة سمرت فيها قدمه وشد جسده شدا الى قدميه فلم يعد يتحرك فيه سوى يده التى راحت تنتفض فى يدها من شدة ارتباكه . ذلك لانه لم يتصور انه يصافح امراة فى الطريق ولا حتى فى غير الطريق وثانيا لان الشك خامره فى انه غير المقصود بهذا النداء ولا بهذه المصافحة الحارة التى تنم عن الاشتياق الجم .. ولا بد ان يكون هو غير المقصود فهو لايعرف فى المدينة غير ام طنطاوى ولولا الريال ايجار الغرفة الذى يقدمه اليها كل شهر لم عرفها هى الاخرى فكيف بهذه ان تعرفه وتناديه ، وتناديه باسمه الكامل الصحيح ؟!

وسحبت يدها التى كان لها فعل النار فى جسده الشبيه بالخشب القديم المدفون الذى يذوب هيكله بمجرد ان يشم رائحة النار لاول مرة. ولما سحبت يدها نظرت اليه اولا ثم انثنت فى خفر ثم اقبلت على اذنه فى استحياء واخيرا قالت وهى تدس فى يده ورقة مالية :

ـ والنبى ياشيخ خليفة هات لى تذكرة . احسن الدنيا زحمة قوى

وهم ان يحرك شفتيه ليسالها من هى . او هل هو حقا الشيخ خليفة

الذى تقصده بيد ان شفتيه لم تتحركا فاخذ الورقة المالية دون ان ينبس وانصرف الى شباك التذاكر الذى كان الزحام عليه قد بلغ اشده حتى اضطر صاحب الليلة ان يستنجدبالبوليس الذى فرق الناس واوقفهم الواحد تلو الآخر بانتظام . وكان من نصيب الشيخ ان يقف فى نهاية الصف ينتظر حتى يأتى دوره غير ان الشىء الذى كان يؤلمه ويؤذيه فى نفسه هو خوفه من رؤية احد له من زملائه . اذ كيف يكون موقفه لو مر احد الزملاء ؟ هل سيظن انه يقف هكذا ليؤدى عملا انسانيا او غير انسانى اجبر عليه ؟ من البديهى لا . وما دام لا فسيصبح هذا حديث الطلاب فى المعهد وموضع سخريتهم ...او ماذا يكون الحال اذا مر الآن صدفة الشيخ الدمرداش نفسه ورآه فى وقفته هذه معهؤلاء الكفرة الفجرة الذين يتهافتون على اللهو والفجور فى هذه الليلة المباركة وقبل صلاة العشاء ؟ انه بلا شك ان رآه سيزدريه وسيحتقره ولا بد انه سيسخر منه هو الآخر . ومن يدرى ربما يغير موضوع الدرس غدا فبدل ان يكون اركان الوضوء عند ابى حنيفة . يجعله اركان الفجور عند الشيخ خليفة .

وبينما هو كذلك غارق فى هذه التخيلات المزعجة اذا به يفيق على دوى غلق شباك التذاكر حيث قد نفذت آخرة تذكرة . وهنا استرد انفاسه وفرجت اساريره وهم ان يرد اليها مالها وهو فرح بالنجاة غير انه فجاة راى شيئا ما ان وقعت عينه عليه حتى انهلع قلبه واربدت ملامحه ثانية وعادت نفسه الى القنوط المرير الذى يعتريها احيانا . وبعين كليلة حول وجهه عن الساعة التى كانت قد قطعت فى السير شوطا بعيدا جدا بعد صلاة العشاء وبيد متخاذلة ردها الى مكانها من صدره ثم ذهب الى تلك المراة التى القى بها القدر فى طريقه هذه الليلة ورد اليها نقودها ثم يمم وجهه شطر داره يضرب فى الظلام بقدمين كانهما خطوات مظلوم يضرب فى الدنيا على غير هدى .

بيد انه لم يمش طويلا حتى احس بشىء كأنه وقع الخطى يتنقل خلفه على مهل ثم يقترب منه رويدا . ثم يدانيه فى تؤدة فالتفت لا مذعورا وانما

شبه مستطلع فاذا بوجه يطالعه . واذا به ساحر كانه القمر . فاتن كانه الدنيا . وفجأة احس الشيخ ان الدهر قد ادركه وان الخوف قد لحق به وانه انما وقع فعلا فى شىء كثير من الاضطراب والحيرة فوقف وقد ازبدت ملامحه ولمعت عيناه وهم ان يقول لها فى خشونة : من انت وهل تعرفيننى حتى تطلبى منى ان ابتاع لك تذكرة .. وهل تعرفيننى حتى تجدى فى السير خلفى ؟

ولكنه قبل ان ينطق حرفا من ذلك سمع شيئا حلوا يشبه الهمس يعلو رويدا ويقترب من اذنه فى دفء وحرارة واذا به يسمع ذلك الصوت الناعم الذى فيه رخاوة النسيم وليونته ينساب فى اذنه خفيفا رقيقا يتماوج كما انساب فى اذنه منذ ساعة او تزيد يقول :

ـ انت مروح يا شيخ خليفة ..

واستجمع الشيخ قواه وانفرجت اساريره وقال فى شىء كثير من اللطف والرقة :

ـ اجل .. ولكن من انت ؟

فهمهمت ثم استدارت مسترخية الجفن مترنحة الاعطاف ودست خمس انامل بضة لينة تحت ابطه وقالت فى شىء من الابتسام الجاها اليه ذراعه التى انتفضت مذعورة من مجرد اللمس :

ـ انا ساكنة معاك فى بيت أم طنطاوى

وهنا استطاع الشيخ ان يسترد بعض انفاسه وان يسير بجانبها حتى بلغا الحارة واجتازا ذلك السرداب المظلم الذى ينتهى الى البيت فوقفا ، وهم الشيخ ان يخرج المفتاح فاسرعت هى واستردت انامله التى الهبت ذراع الشيخ ورنحته وعبثت به عبثا جعلها تزم شفتيها ضاحكة وهى ترقب اضطرابه وهو يعالج الباب . وكان باب غرفة الشيخ خلف باب البيت مباشرة ومع ذلك اخطاه الشيخ واخطاه لاول مرة فى حياته ولما اهتدى اليه مكث حينا يبحث عن الثقب ليضع المفتاح ولما رات هى ذلك

تقدمت منه وتناولت المفتاح من يده وفتحت له الباب فلم يسع الشيخ ازاء هذا الجميل الا ان يقول مجاملا :

ـ اتفضلى ..

وما ان قال ذلك حتى دخلت فعلا وزادت على الدخول ان ردت هى الباب بيدها واحكمت رتاجه وهى تقول وتنظر الى عينيه الزائغتين :

ـ احسن حد يشوفنا

وتقدم الشيخ مرتبكا واشعل المصباح الزيتى فبدت له الغرفة كما تركها . بضعة كتب متناثرة هنا وهناك على مرتبة قذرة ملقاة على الارض . « وترابيزة » متآكلة عليها فضلات من جبن وبقايا من كسر الخبز الجاف . وجلباب من غير اكمام علق على مسمار فى الحائط . ومكتل من سعف النخيل به آنية من فخار ملآى بالمش الذى يسبح دوده على غطائها . ونظر الشيخ الى كل ذلك فمد لسانه الجاف وحرك به شفتيه وقال وهو يجر بطانية سوداء ويدارى بها الوسادة القذرة التى ينام عليها :

ـ شوفى عيشة العازب .

فقالت ضاحكة وهى تجلس على المقعد الوحيد الذى فى الغرفة :

ـ ما احنا فى الهوا سوا . انا كمان عازبة زيك اقعد ..

وجلس الشيخ امامها مرتبكا على المرتبة الموضوعة على الارض . وهم ان يقول لها شيئا فلم يجد . وهم أيضا ان ينشغل بشىء فلم يجد . فحاول ان ينزع حذاءه ولكنه تذكر ان الجورب مما لاتسر رؤيته فتركه بعد ان فك رباطه وادركت هى ذلك كله فزمت شفتيها ضاحكة ثم قالت :

ـ تعرف أنا من زمان نفسى أشوفك !

ورفع الشيخ راسه فرآها فى جلستها قدوضعت ساقا على ساقا فانحسر طرف الثوب عن فخذ متبلورة ما ان رآها حتى عاوده صمته واطراقه . ولاول مرة فى حياته شعر بأشياء غريبة عليه فيها القليل من الخوف وفيها

الكثير من الجراة المتناهية التى لم يألفها فى حياته واغمض الشيخ عينيه ثم عاد ففتحهما ولكن على ظلام دامس وجسد ابيض كانه الشمع واملس كانه الأفعى يتلوى ويدعوه فى صوت خفيف كانه النسيم ، لين كانه الهمس فلم يسع الشيخ وهو الخجول الا ان يلبى النداء .

وفى اليوم التالى كان الشيخ الدمرداش يصلى الظهر جماعة بطلاب الرواق الاحمدى ولكن الشيخ خليفة تخلف يومها عن الصفوف !

« كنت كلما التقيت بها الفيت فى يدها كتابا من كتب الدين وان تجاوزت فمن كتب الفقه او اللغة ومن ايام دخلت عليها فى مكتبها فالفيتها تطالع فى كتاب اسمه الاستمتاع لمؤلفة امريكية عرفت بادبها المكشوف » .

كان السكون شاملا لا يشوبه سوى دقات الساعة الكبيرة المعلقة فى البهو الفسيح فهى التى كان صوتها ينفذ الى غرفتها فى هداة الليل خفيفا رقيقا كانه النسيم .

وكانت لا تزال امام مكتبها دافنة راسها الصغير ، ونصف صدرها المعطر بين اكداس الكتب الموضوعة على المكتب والتى تطالعها دائما وتاخذ منها المراجع لمحاضرتها التى تعدها عن ـ المراة واثرها فى الحياة الاجتماعية ـ كل ذلك دون حركة او حس او تنبه . حتى انها لم تفطن الى مرور الزمن ولا الى قدح الشاى الذى كان قد وضع امامها على المكتب من زمن بعيد . ولكنها فجاة احست بشىء القى فى خضم السكون وانساب فى اذنيها فاعادها الى نفسها فرفعت نفسها ومدت سمعها مدا فى الظلام واصغت الى الساعة حتى خلصت من دقاتها العشر . ثم مدت انامليها الرقيقة وخلصت بعض خصلات فاحمة كانت ترفرف على جبينها المشرق وتداعبه . ورجعت

بظهرها الى الخلف ومدت ساقيها العاريتين الى الامام وتمطت على المقعد ثم تثاءبت وبعد حين همت بأن ترجع الى جلستها وتغرق من جديد فى لجة الكتب . ولكنها لمحت قدح الشاى ، ولمحت الى جوار الصينية البللورية عدة رسائل جاءتها مع المساء فتناولتها والقت عليها نظرة قبل ان تفضها فالفت من بينها رسالة زرقاء تعرف لونها جيدا . وتعرف خطها كل المعرفة . فالقتها جانبا ، ثم فضت بقية الرسائل فاذا بها ثناء عاطر من بعض المعجبين بالمحاضرة القيمة التى القتها من ايام عن ـ الزوجة العربية فى صدر الاسلام ـ ولما انتهت منها جميعا .... عادت فالقت نظرة على الرسالة الزرقاء وتناولتها بين انامليها ، ونظرت اليها وتفرست فيها . ثم مدت شفتيها فى ازدراء من هذه الرجولة المخنثة التى لاتعرف سوى عبارات الحب الرخيص ولا تجيد غير الفاظ الغرام المبتذل ولا تحذق غير فنون التأوه والتوجع والدموع كأن الحياة عند هذا الصنف من الناس لم تكن غير هذه الميوعة وتلك الدموع ولكم افهمت صاحب هذه الرسالة عن طريق غير مباشر انها تحتقره وتحتقر امثاله من تجار الغرام . بل تحتقر الحب نفسه وكثيرا ما افهمته وافهمت امثاله انها لم تخلق للحب ولم تخلق ايضا للزواج لانها لاتجد فيه سوى مهزلة ما برحت تتكرر منذ خلق الله آدم الى الان . ولانها عدا ذلك كله قد وهبت روحها للدير فلا يهمها ابدا بعد ذلك هذا الجسد التافه الذى تقدمه قربانا للروح ، ودون ان تحس ضغطت بأناملها على الرسالة ومزقتها ثم القت بها جانبا على الارض . وهمت ان تتناول القلم وتعاود الكتابة فارتطمت انامله بكتاب جاءها مع البريد من يومين ولم تكن قد فضته لانها لم تجد وقتا لذلك .. فتناولته فاذا به لاديب كبير ، تعرفه وتعرف ميوله ولا سيما نحو المرأة بصفة خاصة بل تعتبره من الذين شيدوا مجدهم واقاموا شهرتهم على انقاض المرأة فنظرت اليه فاذا بعنوان الكتاب غريب . واذا به يختلف كل الاختلاف عما الفته والفه القراء من هذا الاديب الكبير . فالكتاب من عنوانه يدل على التحدث

فى تلك المشكلة ـ مشكلة الزواج ـ التى هى عماد محاضرتها واذن لابد من ان يكون فى هذا الكتاب جديد ولابد انه سيحدث امرا فى دنيا الادب وعالم القراءة ، ان لم يكن قد احدث واذن لابد لها من قراءته قبل ان تفرغ من محاضرتها . فلربما تستعين بآراء الكاتب وتدلل بها على صدق نظريتها .

وفتحت الصفحة الاولى ، والقت عليها نظرة . واذا بحديث جميل رقيق شيق ينثره راهب الفكر ـ على الصفحات وهو يتحدث عن نفسه ، واذا به يخلص من هذا الحديث الطلى الى قصة رائعة بدأ فى سردها بأسلوب ساحر باهر .. واذا بها تترك مقعدها وتحتضن الكتاب فى رفق ، حريصة عليه ، فرحة به . وتذهب الى السرير الفخم القائم فى طرف الغرفة ، وترفع بعض دثره ، وتعلى من بعض وسائده . وتقرب المصباح الوردى من راسها الصغير . بعد ان استلقت على ظهرها ومن ثم راحت تلتهم صفحات الكتاب بعينيها كما يلتهم الجائع من (صينية بطاطس) فاخرة صنعتها امراة غير مصرية . وظلت كذلك ساعة وساعة .

دون ان تحس بنفسها . او تسمع رجع انفاسها التى كانت تترى على الصفحات دافئة كلما اوغلت فى قلب الكتاب . ولكنها بعد حين وقفت فجاة عند صفحة ما ، وراحت تمعن فيها النظر ثم عادت فقراتها ثانية . ومع ذلك وقفت عندها ايضا .. وقفت طويلا هذه المرة .. ثم لما لم تكتف رجعت اليها مرة ثالثة وقربت الصفحات من عينيها كانها تود ان تتذوق حروفها بعينيها وراحت تعيدها بعد ان تورد وجهها . وصعد الدم حارا الى راسها فالهب وجنتيها واضطرب قلبها اضطرابا بدا يهز الصفحات بين يديها وهنا القت بالكتاب على صدرها وشبكت عليه انامله المرتعشة وبعثت بعينيها الى سماء الغرفة . وهى مستقلية على الفراش وراحت تنظر الى الفضاء الممدود الذى امامها وتهمس الى نفسها بنفسها وتلقنها كلمات لم تعرف هى كيف اتت بها .. حتى الباعث على هذا الهمس الخجول لم تستطع ان تحدده لانها لم تعرفه . وان كان مما لابد منه فى هذه اللحظة ضرورة التفكير فيه . ورفعت الكتاب الى وجهها وقربت الصفحات من عينيها وقرات للمرة الخامسة :

« وطوقنى برقة وحرص كانه يطوق شيئا مقدسا ووضع شفتيه على شفتى وضعا خفيفا لطيفا فى قبلة طويلة . وساعدنى فى خلع معطفى بينما شفتاه تلمسان يدى وذراعى ونحرى لمس النسيم »

وهمت ان تواصل القراءة ، ولكن شيئا غريبا طفى على عينيها فموه الكلمات على الصحيفة امامها فالقت بالكتاب وهى ترتعش وانفاسها تضطرب من شدة خفقان صدرها الذى كان يعلو ويهبط كانه يدفع عنه انفاسها التى التهبت فجاة حتى غدا يخشى على شفتيها منها وعادت الى سماء الغرفة وارسلت بعينيها اليه وراحت تنظر دون ان تطرف وظلت كذلك الى ان رات اشياء القت على بعضها نظرة عابرة وتمهلت عند غيرها وتفرست فيه ثم اغمضت عينيها واسرعت الى الغطاء ودفنت راسها فيه . ومكثت كذلك زمنا لاتدرى اطال ام قصر . ثم لما افاقت مسحت عينيها . من اثر الدموع

واعتدلت وهمت بأن تغادر السرير فوقع نظرها صدفة على نهاية الصفحات التى كانت تطالعها فقرات :

انى كنت غافلة عن .. لذة منح النفس للحبيب والفناء فيه والاحساس بانى شيء ضعيف هش بين يديه .

ثم غادرت السرير

وذهبت تجر ساقيها جرا الى النافذة وفتحتها . وطالعتها الشمس تتثاءب فى الافق صفراء شاحبة كوجهها . وكأنها هى الاخرى كانت تعانى طوال الليل آلام جسد طاهر طعنه خبيث بسن حربة ملوثة مسمومة .. فنظرت اليها طويلا . ثم بعد حين اغلقت النافذة فى نفس الثـــورة التى فتحتها فيها . وذهبت الى المرآة فهالها شحوب وجهها واصـــفراره . وتلك الغمامة السوداء التى اطبقت على الجفون المتكسرة فأحالتها مـــع العيون الى نقط غائرة

ومع ذلك استطاعت بعد كثير من الجهد ان تحرك انامِلها الذابلة وتفتح بها ذلك الجفن الحزين . كما استطاعت ان تحرك ساقيها وتزحف بهما زحفا الى الحمام .

وخرجت منه بعد حين .. وبعد ان عاد الوجه الى سيرته الاولى من الاشراق والابتسام .. ووقفت طويلا امام الدولاب . ولم تدر لمـــاذا وقع اختيـــارها فى هـــذا اليوم على ثوب كانت تبغضـــه الى حـــد كبير لانه كان يظهر فى اغراء مثير كنـــوز جسدها الفارع الممشوق ولمـــا فرغت من زينتها ارتدته وهمت بالخروج من الغرفة فوقع نظرها صدفة على المكتب الذى كانت جالسة عليه فى اول الليل وران عليه الكتب مكدسة كما تركتها وكذلك الورق والقلم الذهبى الذى كانت تكتب به فالقت على ذلك كله نظرة ملؤها البغض والضيق والكراهية

شيء واحد هو الذى تناولته فى لهفة ومسته فى رفق ثم ضمته فى حرارة مشبوبة وبعناية فائقة مدت يدها ووضعته فى حقيبتها وهى تغادر الدار منصرفة على مهل .

تلك هى قصاصات رسالة زرقاء ، كانت قد مزقتها فى اول الليل قبل أن تقراها .

كتابنا القادم

شيخ المنافقين

أحدث مجموعة من قصص

الاستاذ احمد الصاوى محمد

موكب الحب

دلف الى غرفته المتواضعة بعد أن وقف حينا يعالج قفلها فى الظلام وهو يصفر صفيرا متقطعا حينا واحيانا يردد اغنية حزينة لا ينى يرددها دائما كلما فاض به الهم والهب قلبه الظامىء سوط الحرمان المرير . ولم يشغله عن مواصلة الغناء الحزين والصفير المتقطع وهو يدلف الى قلب الغرفة الا لونها الذى طالعه فى الليل قاتما كظلمة قلبه ، وجوها الخانق الملوث برائحة أعقاب اللفائف التى تكدست عند بابها وفاضت على المنفضة التى لا يحلو له أن يضعها الا بجانبه على الوسادة وهو فى السرير يقرأ ويفكر . ولما ضايقته رائحة التبغ ذهب الى النافذة وفتحها ولكن فى عنف جعل دلفها تحدث دويا وهى تصطدم بالبناء ثم رجع يتحسس الخطى فى الظلام حتى بلغ المائدة الصغيرة الموضوعة بجانب السرير فأشعل المصباح الزجاجى الذى عليها ، فطالعه على ضوئه الخافت سريره الحديدى مشوش الفراش كما تركه فى الصباح وكما تركه ليلة البارحة وكما تركه ايضا منذ ايام ، فألقى عليه نظرة ساهمة استطاع أن يرى خلالها جلباب نومه متكوما على الوسادة فتناوله محزونا والقى به على كتفيه فى الم ، ثم جلس على حافة السرير وراح يفك ازرار حذائه وهو يردد فى صوت خافت مكتئب اغنيته الحزينة الحبيبة الى نفسه .

بيد انه فجأة سمع صوت نافذة تفتح فى الظلام وتحدث فى الليل دويا كالذى أحدثته نافذته منذ لحظة ، فخطر له خاطر مر بذهنه كالنسيم

خفيفا رقيقا ، ولكنه ما أن استوعبه حتى لمعت عيناه ووقفت آماله التى تعمل فى ثيابه ، ومن ثم اندفع الى النافذة كمن لدغته عقرب واطل منها

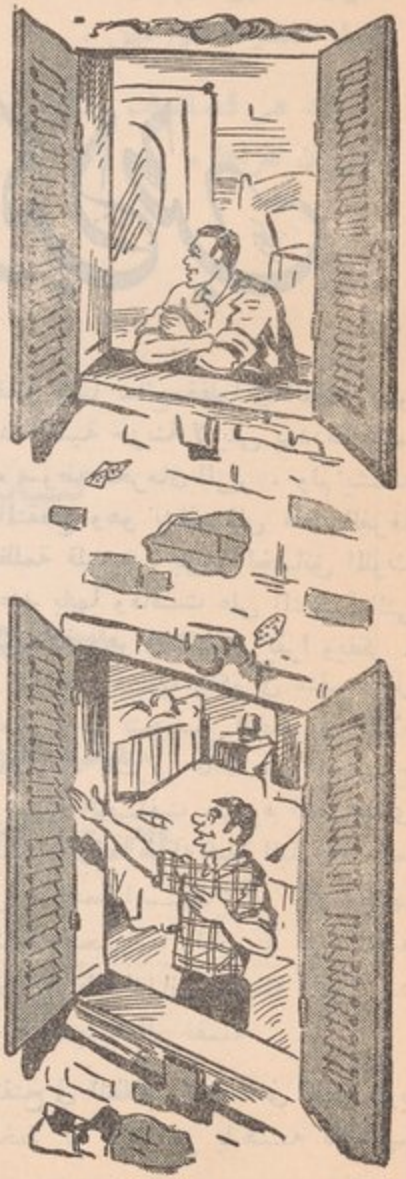

واذا بنافذة أخرى تفتح فعلا ، واذا بضوء يضاء ، واذا بها نفس النافذة الحمراء التى عهده بها والتى هى فى الدور الرابع فى البيت المقابل لبيته فى طرف الميدان واذا به يراها نفسها، امراة احلامه تقف فى النافذة مرتدية نفس الروب الازرق المشجر الذى مارآه مرة الا وانتفض قلبه من سحر جسدها فيه . وما أن رأته وهى فى النافذة يقبل على نافذته ويطل منها حتى اومات اليه وحيته فى ابتسامة عذبة استطاع أن يرى نورها يومض متألقا من بين شفتيها رغم المسافة التى بينهما ، ولما لمعت فى عينه ابتسامتها وتأكد أن الخاطر الذى مر بذهنه منذ لحظات كان فى موضعه انتابته رجفة كادت تكون عنيفة وتهز كيانه كله هزا ، ولكنه استطاع أن يخفف منها الى حد ما بان توجه الى السماء يشكر العناية التى منت عليه فجاة بكل هذا الذى لم يكن يطمع فيه حتى فى النوم .. رباه ماأكرمك أمن يوم أن سكنت هذه الغرفة رايتها لأول مرة .. أبعد عشرة شهور اذابت فيها قلبى قطرات صعدتها مع زفراتى ونظراتى لعلها تجود على ولو بنظرة خاطفة تومض من بين هذا الهدب الساجى المسترخى فلم اظفر

.. تعود الليلة وعلى غير ميعاد فتمن على بهذا العطـــاء الذى لم يحتمله قلبى من فرط الفرح .. تسمع دوى نافذتى وهى تفتح فتسع الى نافذتها وتفتحها لتراني . لتومىء الى . . لتحيينى فى بشر وابتسام.. رباه.. رباه .. واستماتت انامله على اعمدة النافذة الحديدية وشدت عينـــاه شدا وهو ينظر الى السماء ويتمتم . **ما اكرمك .**

ثم رد بصره اليها فالفاها قد تركت النافذة وتناولت شـيئا كانه فاكهة ثم وضعته أمامها على النافذة وراحت تأكل ولكن بعد ان اطفات النور . ولكن لماذا تطفىء النور ؟ لماذا تطفىء النور ؟

حتى لا يمر احد صدفة فى الطريق فيراها ثم يرى غرفتك المضاءة فيقف على طرف من السر الذى بينكما .

اذن من الأصوب أن أطفى انا الآخر غرفتى : من الأصوب جدا

وانقذف الى المائدة كما انقذف منذ لحظة الى النافذة واطفأ مصـباحه الزجاجى ثم عاد مسرعا فالفاها فى وقفتها ، وقد انسكب ضـوء القمر المتبلور على نصفها الاعلى فزادها فتنة وجمالا كما ضاعف من جمـال شعرها الذى كثيرا جدا ما تغزل فيه وفى خصله الفاحمة التى راحت مع نسيم الليل تتماوج حول عنق اتلع كانه قد من ذلك النور المنسكب عليه ، يعلوه وجه دقيق القسمات مشرق المحيا كان الله لم يخلقه ليكون فتنـة للناس وعذابا لقلبه .

ولكن احقا كل هذه الكنوز تبتسم اليك ؟

اجل ولى انا وحدى .. الم تسمع دوى نافذتى فتهرع لتستقبلنى .. لتراني .. لتحيينى الم يعز عليها أن تتركنى وحدى وتذهب لتـاكل او لتنام فتقف أمامى فى النافذة ولكن اليس هذا كثير ؟

حقا انه لكثير .. واكثر منه ان تحتمل من اجلى كل هذا العناء ... ولكن انا ايضا احتملت اكثر مما يحتمل انسان كم من ليال قضيتها ساهرا فى هذه النافذة اذرف الدمع وانا ارقبها وكأن عينى حارس لا يغفل ، وكلما تعبت عيناى تسللت بهما خلسة من تحت جدار النافذة الى خدرها فاتخيلها او قل اراها وهى ساجية كالنور فى غلالتها البيضاء الرقيقة ، ثم اعود متزودا بالغذاء الذى يكفينى ساهرا حتى الصباح .

ولكن هل ترى كانت ما تزال ساهرة تنتظرك حتى تجىء وتفتح نافذتك فتهرع هى اليك من نافذتها وتحييك بهذه الابتسامة النورانية التى خلقتك الآن خلقا جديدا ؟ .. وهل امرك يهمها الى حد التفكير فيك والسهر من اجلك ؟

ولم لا ؟ .. ان المرأة كالدنيا تتنكر لك وتشيح بوجهها عنك ، وتذيقك الوانا من الشقاء وصنوفا من الأذى لتسبر غورك ... لتعرك عودك . فان وجدتك من المؤمنين بها ، الصابرين على اذاها ومرها اقبلت عليك مرة واحدة كالدنيا تماما ترفل فى حليها وحلاها وجعلتك تنهل من رحيقها العذب وتقطف من جناها كل ما تشتهيه نفسك ... وانا صبرت من اجلها طويلا واحتملت ما لم يحتمله انسان عشرة شهور من اليوم الذى سكنت فيه الغرفة ، من اللحظة التى رايتها فيها لأول مرة وهى فى الشرفة تداعب كلبها ومرتدية نفس ذلك الروب الازرق الذى راح ذلك الشعر اللامع يتألق على كتفيه تألق الامل الحلو فى القلب الحزين ... منذ تلك اللحظة وانا لم اعرف لدنياى طعما .. لم اعرف لحياتى لونا وان كنت قد عرفت الكثير من لغة الانين والدموع والتوجع .

ولكن الله قد عوضك عن ذلك كله خيرا ما كنت لتطمع فيه ... انظر هاهى تسهر امامك تنظر اليك وتبتسم ... انظر هاهى امامك تحدثك على ضوء القمر بلغة القلب التى تفصح عنها العيون ويحل رموزها القلب ... اتدرى ماذا تقول انها مثلك ... عانت من تباريح الشوق مثلما عانيت وتحملت من الم الفراق مثلما تحملت وجاهدت فى سبيل حبك مثلما جاهدت . ولكنها لم تبح لك بشىء من هذا كله لانها غيرك يا احمد ... لانها امرأة تخشى افتضاح امرها بين الناس . لان الناس فى هذا الزمن يعتبرون الحب جريمة . وذلك لانهم لا يعرفونه ... وان اجرمت المرأة فى

عرف أهل هذا الزمان تقوضت حياتها وانهار عشها واصبحت كالعصفور الضال فى الصحراء ، صحراء المجتمع الخشنة التى لا تنبت فيها بذور الحب ابدا .

وهب نسيم عاطر فداعب شعرها الطويل المسترخى ثم طرح بخصلاته خلف عنقها فلاح وجهها كله ابيضا كالقمر متألقا كضوئه الفضى . فمد نظراته مدا فى الظلام الى وجهها ، فطالعه من بعيد كنفحة السحر . ورآها تنظر اليه فى خفر ثم تعود فتكسر الجفن فى استحياء ثم ترتد اليه مبتسمة فمد هو الآخر عينيه وحياها فى ابتهاج وظن انها ستنصرف بعد ذلك وهو لا يريدها ان تنصرف ابدا فاشعل لفافة وتعمد ان يدع عود الثقاب مشتعلا فى يده لا لشىء الا لتتأكد على ضوء الثقاب من وجوده ، من يقظته وانتباهه ... ونظر اليها والعود مشتعل فى يده فأخذته نظراتها الفاتنة التى ومضت فى عينيه كالبرق الخاطف ومضى من بين هدبها الساجى المسترخى فشدت هذه النظرة وجهه شدا اليها ، ولم يحول نظراته الا عندما أتت النار على عود الثقاب وحرقت أنامله فألقى بالنار من يده مسرعا ثم عاد فنظر اليها مسرعا ايضا فاذا بها قد ذوت ما بين حاجبيها ومدت شفتيها تألما على هذه النار التى أكلت أصابعه وهو ينظر اليها ، فابتسم وقال لها همسا بعينيه وقد تذكر قول المجنون لليلاه عندما وقف ذات مرة مثل موقفه وحرقت النار يده مثلما حرقت الآن أصابعه دون أن يحس .

انت أججت فى فى الحشا اللاعج الشوق فاستعر
ثم تخشين جمرة تأكل الجلد والشعر

وكأنها فهمت ما يقوله لها بعينيه فابتسمت وقالت له بعينيها ايضا وهى تومىء بجيد انساب بياضه المتبلور فى خصلات شعرها الاسود كما ينساب نور الفجر الوليد فى اصلاب الليل المدلهم !

تبتئس ... سوف نلتقى ... وستمحى ساعة اللقيا جراح البين ، وستطفىء شفتاها الجافة حرقة الظمأ عندما نلتقى وترن اجراس القبل فى ساحة القلب المتيم فيستيقظ على جمر العناق .. ساعة اللقيا ... شفاه جافة ... أجراس القبل ... جمر العناق .

ولمعت عيناه ونظر الى السماء فاذا بها غير السماء التى يعهدها صافية

كالورقة الزرقاء والى النجوم فاذا بها فرحة مرحة طروبة تومض فى الليل ضاحكة وكأنها أختام جديدة لم تلوث أعدت لتوقيع صك سعادته .. ونظر الى القمر فاذا به يتوارى مبتسما راضيا بعد ان جمع الشمل وبارك الحب والف بين القلوب حتى هذا الطائر الفرد يستيقظ فى هداة الليل ويحلق فى السماء الزرقاء ؟ مرجعا اغاريده العذبة اهذه تباشير اللقيا ... أم هى مواكب الحب ؟

واشارت اليه بيدها فابتسم لانه لم يفهم ثم عادت فأشارت اليه اشارة واضحة فاضطرب قلبه وتلاحقت انفاسه (**سآتى اليك .. أجل سآتى اليك .. انتظر**) .

(ستأتى الى ...) وكانت تنتظر حتى يتوارى القمر ويسدل الظلام اسجافه التى لم تخلق الا لتقى الحب من عيون الرقباء لتأتى الى ...

ولمعت عيناه واستماتت انامله على أعمدة النافذة وهو ينظر الى السماء ويردد ؟ اللهم اغفر لى ظنونى فيها طيلة العشرة شهور التى مضت ... طيلة الليالى التى سهرتها والدموع التى ذرفتها . وحانت منه التفاتة فألفاها تتسلل من بيتها فى الظلام تخطر رويدا كأنها حورية من حوريات البحر خرجت على الشاطىء ورآها وقد اقتربت قليلا ... رات عيناه واضطرب قلبه وتتابعت أنفاسه دافئة فايقظت شفتيه الجافتين وهيأتهما للمنهل العذب .

واسرع دون وعى الى النافذة فردها ثم الى الباب يحاول فتحه ليهرع اليها ليحملها الى صدره حتى لا يجشمها الخطى . بيد انه سمع فجأة وقع اقدام تهبط سلم البيت الذى يسكنه فى سرعة وتخبط فوقف متنمرا ، وقد تصلبت اساريره واربدت ملامحه وجحظت عيناه وهو يرقب من ثقب الباب هذا الذى القى به القدر فى طريقه فجأة ليحول بينه وبين سعادته ... بينه وبين دنياه ... فألفاه يمر ببابه كالبرق ويخرج مسرعا فخشى على حبيبته ، واسرع مجنونا ليحول بينه وبينها ان اراد بها سوءا ... ليصفعه ان كان يقصدها او ليقتله قتلا اذا ادى به الامر .

ولكنه ما ان دلف خلفه . وخطى خطوة واحدة حتى وقف مرتاعا حزعا يصغى الى ذلك الصوت الذى يهمس فى الظلام قائلا ؟ (**عودى ... ارجعى ... فالأبله الذى يسكن البدروم ما زال مستيقظا يرقبنا**) .

غانية و شيخ

كانت ثقيلة جدا على نفوسهم زمالة زميلهم الجديد الذى لا يتفق معهم فى غاية ولا يجاريهم فى رغبة . هو شيخ محافظ رغم طربشته وزيه الافرنجى لم تقو اضواء المدنية الخلابة وحياتها الزاخرة بمباهج الشباب ومفاتن الصبى ان تضمه او تجرف قلبه الى طريقها المائل المنحرف . فلم يؤثر على داره شيئا ولم ير مرة يغشى الاندية الخاصة او يختلف الى المجتمعات العامة ولم يشغل اوقات فراغه فى غير الصلاة والجلوس الى كتاب الله يتلو آياته ويسبح بحمده . ولم تصبو نفسه مرة الى لذة مباحة او محرمة او احس وهو الفتى الممتلىء قوة وحمية بنزوة من نزوات الشباب تغمره او رغبة من رغبات الحنان تفيض عليه . اما هم فثلاثة من الشبان الذين تناوش قلوبهم حمية الشباب الثائر ونزوات الصبى المفتون . وتتحكم فى عواطفهم نشوة اللذة باستقبال الدنيا الجديدة التى تعرض عروضها المغرية وتقدم زهرها الفواح بعطر الهوى والشباب ووردها المنقوع فى ماء الشهوة الجامحة الى كل عابر تخطى العشرين من عمره لذلك كانت ثقيلة جدا على نفوسهم هذه الزمالة فحاولوا جهدهم ان يضموه الى حظيرتهم ويسيروا به فى طريقهم المائل المنحرف فيستدرجوه مرة الى دار من دور اللهو او مكان من تلكم الاماكن الدنسة التى تعودوا ان يرتادوها كلما جن الليل وغفلت عين الرقيب فلم تجد محاولتهم الا

احتقارا من الشيخ لهم وغضبا منه عليهم وكانت اللعنات كلها تنصب عليهم الثلاثة اذا طلب احدهم من الشيخ أن يصاحبه حتى الى دار من دور الصور المتحركة اذ كيف يطلب منه وهو الشيخ المتدين الذى سلخ صدر شبابه احدى عشر عاما فى الازهر أن يذهب ليشاهد امرأة أو شابة نصف عارية أو شابا مفتونا سولت له نفسه الوضيعة أن يقبل امرأة على مرأى من الناس ولما عجموا عوده غير مرة ووجدوه صلبا لا يلين تركوه مكتفين بأن يتخذوا لهم منه صورة فكهة يتندرون بها كلما حلى لهم التندر والضحك فى أوقات الفراغ فى المكتب . وعرفوا الاشياء التى تغيظه وتحنقه فكانوا يأتونها غير مبالين بأدب أو وقار متعمدين الحديث بصوت يسمعه مختلقين بعض الحوادث يصورونها فى اطالة مبتذلة واسهاب مرذول مراعين بصفة خاصة الاسهاب فى وصف القبلة والنشوة التى يخلفها رنينها فى النفس والعناق ومدى تأثيره فى هصر الغصن الرطيب والرضاب وكيف يستخلص من مراشف الحسان . وكثيرا ما كان يذهب وصفهم للنساء أمام الشيخ الى ماهو أبعد من ذلك يؤم تلك المنطقة الحرام من الجسد الجميل ، كل ذلك والشيخ ينظر اليهم بعين يتطاير منها الشرور ويسمع منهم باذن ود لو يحول الصم بينها وبين هذه الكبائر . وكثيرا ماكان يترك لهم المكتب وهو يحوقل ويبسمل ويستعيذ بالله مرات من هذا الاثم الذى سمعته اذناه . وحدث يوما أن ذهب الشيخ ليصلي الظهر فى المسجد المجاور كعادته ولما عاد وجد على مكتبه مظروفا معنونا باسم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحفيظ الابيارى فتناوله مبتهجا ظانا أنه دعوة الى سماع محاضرة دينية أو مشاهدة احياء ذكرى شريفة ففضه مبتسما واذا به يجد بداخله صورة لبغى قد وقفت الى شاب رقيع مخنث وقفة غير مشروعة وما ان رآها وتبين زواياها حتى طفر الدم على وجهه فالهبه وبدل سحنته وثارت ثائرته فأرغى وأزبد وراح يكيل لهم الشتم والسباب جزافا بألفاظ لم يتعودها ولم يعرف كيف صدرت منه . وغاظه أن الثلاثة رغم مايوجه اليهم من جارح الكلم وقارص القول يضحكون ويتغامزون واخرجه هذا عن طوره فذهب ليعرض الامر على رئيسهم وفى يده صورة المرأة العارية والشاب الماجن المخنث . وكان العقاب شديد الوقع على قلوبهم لانه تعدى الانذار والالفات الى الخصم الفعلى من المرتب ولكنهم على رأى الشيخ مكرة فجرة فحملوه للشيخ امانة يردونها اليه متى سنحت

الفرصة ولو طال الامد وتعاقبت الايام . ولكن ردها كان سريعا وثقيلا ايضا على نفس الشيخ وساعدهم على ذلك أن اقيمت فى المدينة حفلة ساهرة خصص دخلها الى احدى الجمعيات الخيرية وكانت تذاكرها توزع اجباريا وارغم الشيخ على أن يبتاع تذكرة بعشرين قرشا اشتراها تلبية للامر الصادر اليه . بيد أنه لم يفكر فى الذهاب .

ولكن الثلاثة ظلوا خلفه حتى اقنعوه بضرورة الذهاب لمشاهدة الحفلة لان البك الرئيس امر باخباره عن كل موظف يتخلف عن الحضور لينظر فى امره بقسوته المعروفة ولكى يوهموه بخطورة الموقف انهى احدهم حديثه بقوله (ومع ذلك ياعم أحنا ناس عايزين ناكل عيش فانت حر) وكان هو ايضا يحب أن يحافظ على مورد عيشه ففكر فى الامر طويلا وحوقل وبسمل واستعاذ بالله من ذلك الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور هؤلاء الثلاثة . ثم صمم على الذهاب .

وفى المساء تخلى الشيخ عن زيه الافرنجى البغيض على نفسه والذى فرضته عليه الوظيفة فرضا وارتدى جلبابه الابيض المخطط بخيوط زرقاء ثعبانية عليه الكاكولة (الكشمير) اللامعة ثم خرج من داره ويمم وجهه شطر دار التمثيل وهو أشد ما يكون اسفا وابتئاسا على خنق حرية الفرد حتى فى ابسط مظاهرها . ووصل الى دار التمثيل وداعب عينيه بريق ثريات الكهرباء المقامة على بابها واعلامها المزينة المبسوطة على جوانبها وشاهد فتيات خليعات متبذلات وسيدات قد اخرجهن التفرنج والتزين عن حدود الوقار يدخلن الدار التى يدخلها .

وصعد اول درجات المدرج الرخامى الذى نثرت على جوانبه الورود والازهار وحاول أن يصعد الثانية ولكن ضحكة نسائية لينة فيها رخاوة ومجون انبعثت فجاة ورنت فى اذنيه فتوقف عن متابعة الصعود وفكر فى الرجوع الى داره ووقف خجلا حائرا وهم بأن يحرك قدميه ليعود من حيث أتى ولكنه تذكر قول زميله (ياعم احنا ناس عاوزين ناكل عيش) وتذكر ايضا انه من أشد الناس محافظة على مورد عيشه ففكر فى الامر وقلبه فى لحظة على جملة وجوه ولكنه قبل أن يسر الى نفسه رايا قاطعا احس بيد تربت على كتفه واذا به احد الزملاء الثلاثة يصافحه فى حرارة ويقول دون أن يترك له فرصة للحديث ـ اقدم لك شقيقتى ثريا ـ والتفت الشيخ وفتح عينية على غانية مشرقة بسامة فاتنة الرواء فارعة القد

متكسرة الاعطاف . وقد اختلط جمالها الطبيعى بفن التزين الحديث فجعل منها امراة ساحرة تستطيع بسهولة ان تفرض شخصيتها على الرجل وتخدر اعصابه وتتحكم فى عواطفه بمجرد تسليط عينيها عليه بفعل السحر الكامن خلف اهدابها الوطف وتصلبت اسارير الشيخ ورارات عيناه وذوى مابين حاجبيه ثم مد يدا واهية مرتعشة فالتقفتها يد ثريا البضة الناعمة وضغطت عليها فى دلال وهزتها فى شوق وقالت بصوت عذب حنون موسيقى النبرات (بون سوار شيرى) وفهم الشيخ معنى الكلمة الاولى ولم يفهم الثانية فرد ردا باردا مقتضبا وطاطا الى الارض مشتغلا بلعابه الذى جففه الخجل ثم اخذ منه سيد شقيق ثريا تذكرته ومكث غير بعيد ثم عاد ومعه ثلاث تذاكر اعطى الشيخ واحدة وثريا الثانية بعد أن وضع لهما نمرا متجاورة واحتفظ لنفسه بواحدة واشار عليهما بالدخول على ان يعود اليهما بعد لحظة وان كان لم يعد . وتابطت الغانية اللعوب ذراع الشيخ الوقور وسارت بجواره .

وكان منظر المراة جميلا خلابا يتصيد النظرات فهى رغم جمالها الباهر الذى اغدق عليها بغير حساب قد تفننت فى حياكة ثوبها الارجوانى اللامع فبدا غصنها الميادر رائعا تتموج ثماره الناضجة كلما داعبه الثوب وضاعف من لفت النظر اليها رائحة عطر البنفسج الذى تعطرت به والذى تسللت رائحته الى الخياشيم . فايقظتها واشرابت الاعناق وتفتحت العيون ولم يملك احد الشبان ان يكبح جماح شعوره فاظهر اعجابه بالفاظ مبتذلة ، تنبه لها الشيخ وهو يسير بجوارها فتضاعفت ربكته وكادت تتعثر خطواته لولا ان ثريا ضغطت بانامل الرقيقة على ذراعه ومالت عليه واسرت له هامسة (خليك اسبور) واجلسته على المقعد الذى خصص له وجلست بجواره وانتهزت فرصة اطفاء الانوار فالتصقت به وراحت انفاسها الحارة تغمر صفحة وجهه وبريق عيونها يداعب عينيه وكلما احس بها تقترب منه انكمش فى نفسه وتكور فى جلسته محاولا تحريك مقعده الذى نسى انه مثبت فى الارض وضاعف النظر الى الصحيفة التى فى يده وعرق الخزى يتصبب من جبينه كلما شعر بالدفء المنبعث من جسدها ولما لاحظت عليه ذلك ارادت ان تخرجه من جموده فتناولت حقيبتها ووضعتها على فخذيه متعمدة ان تلمس احدهما ولما احست بجسده

يرتعد ويهتز من مجرد اللمس ضحكت ومالت عليه فى اغراء فاتن وقالت
ـ انت مكسوف ؟

واحس الشيخ بشىء هو مزيج من اللذة والنشوة يغمره ويفيض عليه وتتفتح له جوارحه وينبض به قلبه . ماهذا الشىء وما هذه اللذة الجديدة على نفسه التى تنساب فى جسده وتتسلل الى اعصابه فتخدرها وما بال هذا الذراع ما زال يحترق ويوزع لهيبه على الجسد كله حتى ليكاد يصهره . وفخذه ماباله تصلب هكذا بمجرد ان لمسته استطبع يد المراة اذا مست جسد الرجل ان تفعل به كل هذه الافاعيل . اى قوة كامنة فى قلبها تجعل لاطارفها ما للثقاب المشتعل بالمواد الملتهبة ...

معذورون هم اولئك الذين يخلون بهن ... مساكين هم اولئك الذين يوقعهم اقدر الحائر فى احضانهن وتلمس الشيخ الفتى بيده الواهية ذراعه المرتعش وفخذه المتشنج . واحس انه فى حاجة الى بعض الهواء الطلق الخفيف وهم بأن يغادر مكانه دون استئذان ودون النظر اليها خشية ان ترغمه عيناها على الجلوس والاستسلام ولكن فجاة اطفىء ضوءالمسرح الابيض واستعيض عنه بضوء ازرق ضئيل وظهرت امراة اخذت تتلوى كالثعبان وهى تعرض رقصتها الفنية . ودوى التصفيق وعلى الضجيج والصفير فى ارجاء الصالة ومالت عليه ثريا فى رفق ودفنت ذراعها فى صدره الخافق وقربت ثغرها من اذنه حتى لتكاد تقبلها . وغمرت انفاسها الحارة صفحة وجهه وقالت (طانجو) ولم يفهم الشيخ معنى الكلمة ولكنه تظاهر بأن نعم ، ولم يحاول فى هذه المرة ان يبتعد بصدره عنها بل على العكس ود لو ظل كذلك بعض الشىء ، وفى لمح البصر تغير الضوء باحمر قانى لون الدم وتغيرت الراقصة بأخرى تتموج وتتثنى وهى مقبلة مدبرة . وقالت له ثريا وهى تقترب منه (رقص بلدى) واحس الشيخ بالدفء ينساب فى يده والحرارة تتسلل الى ساقه . فالقى بالصحيفة جانبا واعتدل فى جلسته واصلح من وضع طربوشه ثم اخرج من جيبه علبة اللفائف فلم يجد فيها سوى واحدة بقيت من اثنتين كان قد ابتاعهما فى الصباح . ونظر اليها وقال مبتسما رايتك تدخنين ومعى واحدة فهل تقبلينها . فتقبلتها مظهرة شكرها بأن لصقت ساقها بساقه مرة ثانية وطلبت منه ان يشعل

لها اللفافة فاسرع باشعالها وهو يتفرس فى وجهها الضـــاحك وثغرها الباسم واشرقت اسارير وجهه ورارات عيناه وهمهمت شفتاه وهم بأن يسر اليها شيئا ذا بال ولكن الموسيقى عزفت عزف النهـــاية وانصرفت الناس ومعهم ثريا وشقيقها .

وقابله على باب الخروج زميله الثانى وساله عن حال السهرة فاجابه والبشر يلوح على محياه :

ـ مش بطـال

ـ ولكن اين سـيد ؟

ـ اظنه انصرف الى داره مع شقيقته .

ووجد الشيخ نفسه يسأل :

ـ اين يقطن هو ؟

وفهم الزميل كل شىء فقال جادا :

ـ شارع (٠ ٠ ٠) رقم ٣٧

وانصرف الشيخ الى داره مفكرا مهموما مؤنبا نفسه لانه لم يكن فى هذه الليلة ببـذلته الكحلية الجديدة ولما انفرد فى غرفته وجـد نفســه يفكر فى اشياء جمة ثقيلة على نفسه ساورته واطبقت عليه ولم يستطع لها دفعا لان قلبه يتمادى فيها وعقله يأباها عليه وخلقـــه ينفر منها . وقام ليصلى كعادته قبل أن ينام ولـكنه احس وهو يسـجد السـجدة الاولى ان ساق ثريا عاد من جديد يداعب ساقه وان فخذه ما زال على حالته من التوتر والتشنج فختم الصلاة على وضع لم يألفه من قبـــل وقام لينام نوما متقطعا حينا ومتصلا احيانا .

ولمـا استغرق فى النـوم الهـادىء المتصل احس فجأة بمزلاج باب الغرفة يتحرك فى بطء ويفتح الباب على مهل ثم تسللت من الباب قبل القادم رائحة عطر البنفسج فعبقت فى ارجاء الغرفة وعطرتها بالعطر الجميـل ثم ظهرت ثريا تخطر على مهل واقبلت عليه تتهادى وقد نضت عنهـا ثيابها وتجردت الا من قميص هفهاف بلون الورد الابيض واقتربت منه بعد ان طرحت خلفها شعرها الفاحم المتموج فظهر الوجه كله ناضرا مشرقا بسامـا . وبأناملها العاجية ذات الاظافر الحمر كشفت عنه غطاءه وادنت وجهها من وجهه وثغرها من ثغره ثم تمتمت بكلمات ذابت أحرفهـا فى

قلبه وقالت (قبلني) ونظر اليها وتضاعفت دقات قلبه وتصاعدت انفاسه وهمهمت شفتاه وفرد ذراعيه وهم ان يعصرها بين احضانه ولكن (المنبه) اللعين دوى صوته الغليظ فجأة فاستيقظ مذعورا . ثم تحقق انه يحلم فخجل وسخر من نفسه .

وفى الصباح تأنق فى ملبسه على غير عادته وذهب الى عمله مبكرا واستقبله زملاؤه الثلاثة وسأله احدهم عن سهرة البارحة فأخذ يعدد لهم نواحى اعجابه وهو يضحك وينكت فى غير تحفظ وقبل ان ينصرف الى داره بعد الظهر اسر اليه سيد شقيق ثريا بانه لأمر ما سيتغيب عن المدينة هذه الليلة ويرجوه أن يبلغ هذا النبأ الى اسرته لانه لا يريد ان يخبر احد غيره بهذا الغياب على ان يكون ذلك الساعة الثامنة مساء لانه الموعد الذى يجد فيه اهل الدار اذ انهم فى هذا اليوم فى زيارة لبعض اقاربهم .

ووجد الشيخ الفرصة سانحة ليتمتع بمشاهدة ثريا مرة اخرى فقبل هذه المأمورية البسيطة مقدرا لزميله وصديقه ثقته الغالية به ، ولاول مرة يقدم الشيخ اليه لفافة من التبغ الفاخر ، ومر وهو فى طريقه الى داره على بائع الروائح فاشترى منه زجاجة من عطر البنفسج دسها فى جيبه وانصرف وحاول ان ينام بعد الظهر فلم يستطع فذهب الى الحمام ومكث به وقتا غير قصير ثم ارتدى ثيابه وبذلته الكحلية الجديدة واعتنى بصفة خاصة بالمنديل الحرير اللامع الذى تدلت اطرافه البيضاء على صدره وبرباط رقبته الذى اختاره بلون الورد الاحمر كلون الشريط الاحمر الذى عقصت به ثريا شعرها ليلة البارحة ثم افرغ نصف زجاجة العطر على شعره ومنديله حتى الوردة الحمراء التى حلى بها عروة سترته قد نسمها ايضا برزاز العطر ثم خرج من الدار قبل الموعد بساعات . ولاول مرة يجلس الشيخ على منتدى عام ويضع ساقا على ساق ويصفق ويطلب كوبا من الشاى الجيد . وقبل الساعة الثامنة بدقائق كان يجتاز شارع (....) باحثا عن الرقم ٣٧ ولما عثر عليه وتطلع الى بنائه راى ثريا تحسر ستر النافذة وتبتسم له من خلف زجاجها وقد تركت شعرها تتدلى خصلاته على كتفيها وروبها الرقيق الذى لا يختلف كثيرا عن الثوب الذى رآها فيه وهو يحلم واسر اليها ان سيدا سيتغيب عن المدينة الليلة . واسرت اليه انها وحيدة فى الدار .

وفى مخدع تايبس خلع الراهب مسوح الرهبنة واحس وهو يرتدى الجلباب الابيض الخفيف الذى أعد لامثاله باصوات متكسرة تنبعث من الغرف المجاورة فانصت اليها فاذا بها همسات نشوية تتصاعد وتختلط وتذوب فى همهمة بعض الرجال وجاشت نفسه ببعض كلمات اراد ان يسرها اليها ليطمئن ولكنها استطاعت أن تحول مجرى افكاره باشياء لم يكن يعرفها وكانت جديدة عليه .

كان بيت (ام خيرى)الذى سجل فيه الشيطان اول انتصاراته على الشيخ من البيوت الموضوعة تحت المراقبة الليلية الشديدة . ولما انقضى الليل الا اقله داهم البوليس السرى الدار واقتاد كل من فيها الى مخفر الشرطة ومن بينهم الشيخ والراقصة .

شىء واحد هو الذى الهب وجدانه وجعله يهذى محموما ويبكى كالطفل ذلك انه سمع وهو يجتاز مدخل المخفر صوتا عذبا حنونا ينبعث من على ماذنة قريبة يدعو الناس الى صلاة الفجر .

غافلت امها التى داعب النوم عينيها وانسرقت الى مخدعها كالقبلة المختلسة . واغلقت الباب خلفها واحكمت رتاجه بيديها . ثم انطلقت تعدو طفولة محببة الى السرير وما ان بلغته حتى استلقت عليه جذلة منتشية . وما ان استقر جسدها عليه حتى دفنت وجهها فى طنافسه التى غرقت فيها ثم اخذت تبثها ضحكاتها التى راح القلب يرسلها ارسالا فى أرجاء المخدع الصامت . وظلت كذلك حينا تهتز على الفراش فيرتعش وتهزه فيتماوج كما تهز السمكة الجذلة صفحة اليم الغافى فترتعش صفحته . ولكن ذلك لم يكن ليكفيها ... لم لا تداعب كل شىء . وتبث كل شىء فرحتها .. لم تعانق هذه الطنافس . وتهصرها هصرا . وتلثمها لثما بل وتقبلها تقبيلا .. لم تسر اليها ايضا فرحة القلب . ونشوة الفؤاد.

بيد انها بعد لحظات ملت السرير وضاقت بطنافسه ودثره .. لم لا يضحك هو الآخر .. لم .. وقفزت من عليه وانتصبت واقفة وسط الغرفة الفسيحة .. وكما ضايقتها طنافس السرير منذ لحظة ضايقها الروب الازرق الخفيف الذى ترتديه ... انه يحجب عنها اضواء الجسد الذى يضحك هو الآخر كما تضحك عيناها . وكما يضحك ثغرها . وكما يضحك جبينها . وكما يضحك كل شىء فيها ... وبحركة آلية نزعته عنها ... وبحركة فرحة مرحة جذابة القت به لا فى مكانه من المشجب . بل طوحت به وسط الغرفة ... ووقفت امامه ونظرت

اليه .. وتأملته .. وتفرست فيه .. ثم انثنت ضاحكة ولكن فى خجل خضب وجنتيها وأسبل هدبيها ... واوقفها حينا صامتة ..

وحانت منها التفاتة فرات المرآة .. راتها مشرقة بسامة كوجهها . صافية حلوة كعينيها . منتشية كجسدها ... فذهبت اليها مترنحة الاعطاف تجر ساقيها جرا وكأنها تنتزعهما من الارض انتزاعا .

ووقفت فى المرآة وداعبت عينيها .

وانفرجت أساريرها عن ابتسامة عذبة اضفت على وجهها الجميل أشرافه منورة .

واستلقت مرة اخرى على السرير ولما اطمأنت هذه المرة الى نفسها . مدت يدها واخرجت من يمين الوسادة رسالة وراحت تقراها للمرة العشرين .

انه يزف اليها بشرى الزفاف .. فقد آن لهما ان يقطفا زهرة الحب التى اينعت .. ولذلك فهو ينتظرها فى القطار الذى يصل القاهرة مع ظهر الاربعاء . لترى وكر غرامها الجديد الذى سينسقان فيه باقات الزهور . ويجعلان منه رمزا لحبهما الخالد ... ما اجمل وكر الغرام.. ما أبهجه .. ما احلاه اتدرين أين عثرت عليه يارجاء ... فى ـ مصر الجديدة ـ تلك الضاحية التى يحلو للطبيعة احيانا ان تخطر فيها سافرة فتهدهد طلعتها النفوس التى شغفها الوله .. وتندى ابتساماتها القلوب التى تيمها الحب وبرح بها العشق واضناها الغرام .

واستوقفت نظرها بعد ان قرات الرسالة جملة ما فالقت بعينيها عليها وتفرست فيها وتمتمت .

ـ زوجك يوزباشى راشد حلمى .

وتراقصت احرف الاسم امام عينيها ثم تلاشت رويدا ورات مكانها صورته . ورات وجهه المشرق الضاحك وعينيه اللتين مانظرت اليهما مرة الا واختلج قلبها . وامعنت النظر فى الرسم ورات تلك النجوم الثلاث

المصفوفة على الكتف وراتها تتألق وتبرق حتى لتكاد تشبه فى بريقها بريق عينيه فابتسمت وادنت الرسالة من شفتيها ثم اودعتها قبلة ملتهبة افرغت فيها حرارة القلب . ونشوة الفؤاد . ويقظة الجسد . ومن ثم تراخت اعصابها واستكانت عواطفها . واختلج بياض عينيها ثم غام فى سوادهما وتوارى خلف الاهداب الثملة النعسانة ونامت . وفى الصباح كان القطار السريع الذاهب الى القاهرة يتسلل بركابه وسط المزارع وهو يسير باقصى سرعته ولكنها كانت ضيقة الذرع به . ولماذا لم يكن اكثر من ذلك سرعة .. اكثر من ذلك شراهة والتهاما للارض التى يسير عليها ... ولماذا ايضا لم تخترع قطارات توصل الى القاهرة فى دقائق ان لم يكن فى ثوان ... بدل هذه الساعات الثقيلة الطويلة المملة .. وتناولت الجريدة واخذت تطالعها ولكنها لم تقرأ منها حرفا ولم تفهم منها شيئا كأنها كتبت باللغة الهيروغليفية فالقت بها ثانية وقامت الى النافذة وفتحتها فطالعتها الطبيعة المستيقظة بوجهها الضاحك الوضاء. وراتالمزارع المترامية والمروج الخضر تركض لاهثة فى ركابها . وراتالعصافير تتطاير من على الشجر الذى يمر عليه القطار انها هى الاخرى تطير مزقزقة بأجنحتها لتحييها وتبادلها فرحا بفرح .. حتى الطيور على الشجر ... حتى النهر الذى يمر عليه القطار يأبى الا ان يرسم صورة القطار الذى يقلها على صفحته .. حتى الشمس فى هذا اليوم ... انها تختلف عن شموس تلك القرون والاجيال ... انظرى ... هاهى تطل من الافق ولكن بعد ان تزينت ولبست ابهى حللها .. انها تبدو وكأنها فى ساعة من ساعات جلوتها .. ماأقدس الحب وما احلاه واطهره ..

واقبل القطار على طنطا وطالعتها محطتها مزدانة وراتثلة من الجنود تقف متراصة لتستقبل احد الوزراء .. وراتضابطا كبيرا يصعد الدرج مختالا . وما ان راته الجنود حتى حيته تحية عسكرية حارة وكأنها تماثيل لاتطرف فمر عليها وحياها بيده دون ان ينظر اليها . ودققت فى وجه الضابط الكبير وامعنت النظر فيه ثم اخذت تعد ست نجوم لامعة وتاجين متألقين

ازدانت بهما اكتافه .. انه اميرالاى انها غاية الرتب التى يصبو اليها ضابط صغير السن . وتراقصت أمام عينيها صورة راشد ورات اكتافه مزدانة ولكن بست نجوم فقط فابتسمت ثم تمتمت .

ـ وساضع له التاجين بيدى .. ولم لا . ان المرأة اذا وفت ثم قادت الرجل فلن تتركه الا وهو على القمة . ان كل من بلغ القمة فى هذه الدنيا لم يسلك طريقها الوعرة الا وأمامه امرأة تضىء له الطريق بعينيها الجميلتين .

ثم جلست واغلقت النافذة بعدان غادرت طنطا وتناولت حقيبتها واخرجت منها صورتها مع راشد يوم ان عقد عقدهما وتفرست فى الصورة ثم رجعت بنفسها الى ثلاث سنوات خلت يوم ان مات والدها وتركها وامها لاعائل لهما ولا معين سوى البيت الذى يقطنان فيه وقد تركت احدى شقتيه ليؤجرها الناس . وكان راشد احد الذين قطنوا البيت يوم ان كان ضابطا فى المدينة فرآها وراته . اخذتها منه وداعة اخلاقه ولين طباعه ونقاء سريرته . وبهره منها جمالها الانثوى الساحر . ودماثة طباعها الحلوة وفتنتها التى لاحد لها . وقربت بينهما الوحدة . فقد كان مثلها وحيدا وسره ان يعثر على شريكته التى تماثله . لذلك ما ان طالب بيدها حتى قدمتها له راضية . ثم لف الحب الاثنين بغلالة بيضاء نقية كانت هى رمز سعادتهما الدائم . ولكنه نقل الى القاهرة قبل ان يتم الزفاف . ولكن هاهو قد اعد عدته وهاهى ذاهبة اليه لتبارك وكر الغرام الجديد قبل ان تسكنه . لا بل لتبارك جبينه الوضاء . وتضفى عليه من حنانها مايجعل الحياة ندية فى ناظريه محببة الى نفسه . ويضفى عليها من حبه مايجعلها اسعد النساء لكم هى فى حاجة اليه والى عينيه اللتين تستمد منها اشراق الحياة وابتسامها . لقد مرت عليها تلك الايام الخمسة عشر التى لم تره فيها طويلة ثقيلة . لقد كانت كل انهارها معتمة ولياليها كريهة حالكة السواد . كانت الدنيا فيهم صحراء مجدبة تكاد لفحات القيظ فيها تحرق قلبها المتلهف عليه . ولكنها ستراه اليوم ... بل الان ... ماأسخف هذا القطار ماله يمشى هكذا الهوينا كثعبان ضرير . ونظرت الى الساعة الذهبية التى ازدان بها معصمها العاجى فالفتها الثانية

عشر الا خمس دقائق . فنهضت وفتحت النافذة ثانية فطالعتها القاهرة فاضطرب قلبها واختلجت جوارحها وما ان وقف القطار حتى قفزت منه وراحت تنظر ذات اليمين وذات الشمال ... ولكنها لم تره ...

كيف لم يجيء ... كيف لم يستقبلها .. ترى ماالذى عاقه .. ترى ماالذى حال بينه وبينها بينه وبين دنياه ... لاشيء ... لاشيء البتة .. لابد ان يجيىء .... لابد ان يكون هنا .. اجل لابد ان يكون هنا انظرى .. انظرى حواليك ... وراحت تتلفت ..

ولكنها لم تره فاضطرب قلبها . وتصاعدت انفاسها واحست بشيء بغيض يتمشى فى اوصالها ولكنها مالبثت ان بلغت الباب الخارجى للمحطة وطالعها ميدان المحطة الفسيح الرحب حتى هدات ثائرتها وسكنت عاصفتها .. وعادت اساريرها تنفرج رويدا حتى اخذت طبيعتها من الاشراق والابتسام والنور .

فقد رات حشدا عسكريا يغص به الميدان حتى يكاد يكتظ به . ودققت النظر فعرفت انه موكب جنازة تسير باحتفال مهيب . تتقدمه موسيقى البوليس توقع اللحن الحزين . وضباط لمختلف الوحدات ثم النعش محمولا على مدفع يغطيه العلم الكبير . فكبار المشيعين يتقدمهم مندوب وزير الداخلية وحكمدار العاصمة .

اعرفت ما الذى عاقه عنك .. انه الواجب يارجاء .. ولكن اين هو .. اجل اين هو ؟؟

وراحت تتفرس فى وجه كل ضابط يمر .. انظرى اهناك اجمل منه .. اهناك من يضارعه قواما وشبابا وفتنة ... اهناك من يفوقه فى جماله واشراق وجهه ... اهناك من هو مثله حباه الله بنعمة السحر الكامن فى عينيه .. اهناك ... ومر المدفع الذى يحمل نعش الفقيد الذى دهمته السيارة ليلة امس فى الطريق . وحول النعش جماعة من الضباط مربدة وجوههم منفطرة نفوسهم . منكسة سيوفهم ورات بينهم الضابط فريد الذى كان زميلا لراشد ايام ان كان راشد فى المدينة وهمت ان تناديه . ولكن الجثة كانت قد حاذتها فاسبلت عينيها وخفضت راسها وحيتها فى صمت

.. وما ان وقف الموكب امام الباب الخارجى للمحطة حتى رات الضابط فريد يقف امامها وقد نكس سيفه وطأطأ راسه . ثم قدم لها التعزية فى عبارة محمومة متقطعة .

ورأت عيناها ... وتمتمت شفتاها .. وهمت ان تنطق ولكن الكلمات ازدحمت .. والعبارات اختلطت والهواجس تتابعت . ومرت دقيقة صمت هائلة ثم انسكبت الدموع غزيرة من عينيها . ولكن على صورة مجللة بالسواد . كانت فى قلب الجريدة التى تحملها من اربع ساعات ولم ترها ..

سبي الجسد

كانت الخميلة تقع فى مكان ناء عند طرف الصحراء ، ليس من السهل تحديده أو الاهتداء اليه وكانت أيضا من غير الخمائل التى تألفها ، فقد كانت مسورة بسور من زهر الياسمين قام على أوراق بيضاء ناصعة من أوراق الورد الابيض المتضوع ؛ وعلى كل زهرة من ازهار الياسمين هذه ، القائمة على السور ، قوس مشدود اليها سهم ، وليس على النسيم العليل الا ان يهب فتنطلق الاسهم حيث يشاء لها « الهوى » ان تنطلق ، اما اشجار الحديقة فهى من الوسق الذى لم نألفه نحن .. ففى نهاية كل فرع وعلى راس كل زهرة نبتت فيه ترى زنبقة كبيرة بيضاء ضمت هى الاخرى فى أفوافها قلب وردة حمراء قانية لم يتفتح بعد ، وترى الزنبقة هذه وقد مالت بالفرع الميال كله الى اسفل حيث شارفت تلك الجداول الكثيرة المنبثة تحت الاغصان يتدفق منها ماء زلال كانه الكوثر ، وسط هذه الخميلة التى اسمها « خميلة الحب » ترى عرشا كبيرا ، صنع كله من الورد الابيض ايضا على هيئة قلب كبير مقام على سبعة اغصان من النرجس وقد جلس عليه « كيوبيد » اله الحب ، ومن حوله سبع فتيات عاريات كانهن فى جمالهن الحور العين ، وقد وقفن منحنيات كالقوس ، وقد مدت كل واحدة ذراعها العاجى الابيض الى الامام فغدا كالسهم المسدد ، وكلما هب النسيم العليل تطاير معه ذلك الشعر العسلى المسدل من الخلف على الردفين ، لينساب من الامام على الصدر العريض الفخور بتواميه ، فحال بين القمر العاشق والثدى الواله المتشوق ، فلا يسعهن

وقد كشف النسيم عن هذا كله الا أن يكتمن انفاسهن غيظا من ذلك النسيم العليل المتخابث الذى يأبى ابدا الا أن يكشف دائما عن تلك المناطق المحرمة فى الجسد الجميل .

وكان من عادة كيوبيد ان يسر ايما سرور لهذه المعابثات البريئة ، فمثلا همسات النسيم للجمال البكر ، كانت تطربه ، ولثمات القمر الذى كان يطبعها بمهارة فائقة على اماكن البروز فى الجسد المشبوب العارى كانت تسره . غير انه فى هذه الليلة لم يفطن الى شىء من هذا السحر المركب فى هذا الجمال الخالد الرائع المتناثر حواليه ، فقد كان مضطربا على غير عادته ، قلقا لا يكاد يستقر لحظة على عرشه الوردى العطر ، ذلك لان الانباء كانت تترى عليه من المدينة غير سارة ، فكلها تنذر بأوخم العواقب وتنبىء بالنتيجة المحتومة للجيش المنهزم والقائد المغلوب ، فالضحايا قد كثر عددهم والجراح لا سبيل الى التئامها ، والثغرات التى احدثها العدو على طول جبهة القتال قد اتسعت واستعرت وغدت كأنفاس القدر تتلظى وتزأر نارها وكلما حاول جنوده أن يسدوها بالزفرات والدموع ، اختلط عليهم الامر لان زفرات المحبين فى هذه الايام ، لم تعدمها تلك الحرقة التى تباور القلب وتطهره وتروضه على الصبر والنضال ، والدموع لم يعدمها ذلك الصفاء الطاهر الذى تهتز له النفس ، ولم تعدمها تلك النار المستعرة التى تؤثر فى الحبيب ، حتى عبارات الغرام والهيام التى كانت فيما مضى تسكر القلوب وترنحها ، غدت هى الاخرى عبارات باردة لا اثر لها ولا معنى تذهب وتتلاشى كما تتلاشى الظلال .

وكانت نتيجة ذلك كله أن جنوده غدت تخر صرعى فى الميادين بالالوف كل يوم ، لان الجندى الذى لم ينجح فى تأدية رسالة الحب بين الحبيبين عليه ان يقدم نفسه تكفيرا عن هذا الاخفاق ، وكانت نتيجته ايضا ان اضطرب ، حبل الوفاء ، وتعددت هذه الحوادث التى يسجلها بين لحظة واخرى هذا المرصد الوردى القائم أمامه .

ونظر كيوبيد الى تلك الزنبقة البيضاء الكبيرة التى أمامه يسجل عليها النسيم بأنفاسه العبقة الحوادث اولا بأول . فألفاها قد سجلت حادثا مروعا ما كان ليظن ابدا انه يحدث ، وهو امر تلك الراعية الجميلة التى

ترعى الشاة فى الواحة الخضراء بجانب الخميلة والتى باركها هو بنفسه يوم ان جمع بينها . وبين ذلك الاعرابى الذى كان يرعى الابل قريبا منها فى الصحراء ، حتى هذه الراعية الجميلة قد ضلت سواء السبيل ووضعت السيف فى موضع الندى ، وارتكبت امرا ادا فى غفلة من الذى اودع قلبه امانة فى عنقها .

وما ان راى كيوبيد هذا حتى ثارت ثائرته واضطرب فؤاده . وظن امرا خطيرا ، ظن ان العناية الالهية التى تمده بالوفاء والاخلاص والطهر قد تخلت عنه ، والا فما سر كل هذه الاحداث التى تحدث .. وما ان واتاه هذا الخاطر البغيض حتى ارتعدت فرائصه ، وكاد يجب قلبه ، واراد ان يجرب .. هل تخلت عنه حقا العناية الالهية .

والتفت وهو شاحب اللون ، زائغ العين ، واشار اشارة خاطفة الى النسيم العليل ، واذا بسبعة اسهم حارة الانصال تنطلق فى قوة غاشمة واذا بها فى غير ما رحمة ولا شفقة تشبع صدور الفتيات السبع الواقفات حوله عاريات . واذا بها تخترم الصدور ، وتبيت فى القلوب ، واذا بالفتيات السبع يهوين مترنحات متأودات ، وقبل ان يبلغن ارض الخميلة المخضوضرة الفين سبعة فتيان اشداء اقوياء فحمل كل واحد واحدة على صدره ومن ثم تسللوا بهن من الخميلة ، يرقص امامهن النسيم فرحا ، وتتمايل اوراق الورد لهن طربا ، ومن خلفهن يصب القمر عليهن ضحكاته وينثر عليهن رقاه وتعاويذه ، التى تحفظ المحبين وتحرسهم من العين .

وكان هذا كله بمرآى كيوبيد فارتدت اليه انفاسه وعاودته ابتساماته التى اثارت الكون ، وراح قلبه من شدة الفرح ينشد نشيد الولاء والاخلاص للعناية الالهية التى ما زالت تمده بروح من عندها ، وتبث فيه روح الود .. والخير .. والولاء للناس

... اذن ما سر هذه الاحداث .. وما هى هذه الانباء السيئة التى ترد اليه من جنوده . ؟

ومد اصبعا وردية الى زنبقة حمراء صغيرة بجانبه ، ومسها مسا رفيقا رقيقا ، واذا بجنوده من حوله تاتى من كل صوب راكعة ساجدة

تنشد لاله الحب على قيثارة القلب انشودة الجمال ، فمال عليهم ليستفسرهم سر الانباء التى ترد اليه منهم ، فخروا جميعا سجدا مرة اخرى ، ثم تقدم جندى جميل تحفه هالة من النور المصفى الذى خلق منه اسمه ـ الوفاء ـ وقال بصوت ملائكى عذب الترنيم والترجيع

« طاعة واخلاصا » ايها الملك الكريم الذى بعث به الله ليملأ الدنيا نورا وطهرا .. أننالم ندخر وسعا ولم نأل جهدا ، ولكن الشيطان قد مده ـ الشر ـ بجنود عرفت كيف تبذر بذورها السوداء فى عقل انسان هذا الزمن الذى غدا لا يصغى الينا الا اذا اراد أن يتفكه .. لهذا نحن يامولانا الخالد ، اشقى ما نكون بهذا الشيطان الذى راح يمشى فملأ الارض مرحا ، املا انه سيخرق الارض أو يبلغ الجبال طولا .

ولم يرد كيوبيد أن يسمع اكثر من ذلك ... فأعاد اصبعه الوردية الى تلك الزنبقة الحمراء ومسها مسا رقيقا رفيقا فاذا بالنسيم العليل يعبق ويتضوع ، وبالجنود الذين خلقوا من نور تسبح عليه كذرات من اللجين منطلقة الى المدينة لتستأنف صراعها الازلى فى ميدان الدنيا .

ورأى كيوبيد وقد انصرفت جنوده . ان يذهب هو بنفسه الى المدينة ويبارك ساحة القتال ويشرف على هذا الصراع الابدى فهبط من على عرشه الوردى الكبير ، وقبل أن يبلغ أرض الخميلة الخضراء الطاهرة كان على الهيئة التى اختارها لنفسه وهى هيئة بلبل صغير جميل . رخيم الصوت عذب النبرات لا ينفك عن الترنيم . وما ان غادر ارض الخميلة وبلغ الشاطىء المتاخم لها المسمى بشاطىء الحب . حتى كانت الطبيعة قد احست بمقدمه فهرعت اليه ، واستقبلته فرحة كل الفرح مرحبة كل الترحيب ، فالمروج قد اخضرت ومدت بساطا مترامیا يسير عليه ، والهواء الندى غدا خمرا الهية يشرب منها ، والشجيرات تمايلت وراحت تظلله ، والنخيلات طابت عناقيدها وراح بلحها يتساقط ذهبا حواليه ، والبحر بأمواجه الفرحة يوقع أعذب الالحان . كل ذلك وهو يسير مبتهجا الى ان بلغ مكانا على الشاطىء أشبه بربوة جميلة تظللها صفصافة كبيرة قد أرخت اغصانها عليها وكأنها تضمها وتعانقها ، وكان هذا المكان قد اعده جنوده لحبيبين جديدين سيلتقيان عليه لاول مرة بعد لحظات ، وسر كيوبيد جدا لهذا المنظر ، وقدر فى خادمه هذا الولاء ، ورأى ان يتريث

قليلا لينعم نظرا بهذا الجمال الفاتن الاخاذ ولينتظر الحبيبين حتى يأتيا فيباركهما بنفسه ، ويمسح عليهما بيده الطاهرة فاقترب من الربوة وهم بأن يقفز على الصفصافة ليشرف عليهما من عل . ولكنه ماان اقترب قليلا ، حتى انتفض مرتعدا غاضبا ، وتصلبت أساريره واربدت ملامحه ، ذلك لانه رآى « غرابا » عجوزا بشع المنظر ، كالح السحنة .. يأكل بمنقاره الاسود المدبب من جسده حتى راحت دماؤه تسيل سوداء بلون سحنته وكان هذا الغراب هو « الشيطان » فتقدم منه البلبل فى غضب وجراة وقال له محتدما

ـ ماذا تصنع هنا ايها الشيطان الرجيم . وفيم انتظارك ؟

فقال الشيطان ضاحكا ، وقد اخذ بجمال البلبل الغضبان .

ـ جئت لانه بلغنى أيها الملك الكريم انك غررت باثنين من البشر بان اثرت فيهما بالفاظك ـ الطاهرة ـ صفاء اهتديا به الى طريقك . طريق ـ الخير ـ الذى سيتردیان فيه بفضل دهائك وشهوذتك . . وقد بلغنى أيها الملك الكريم . ان المسكينين على موعد هنا فى هذه الساعة فجئت بنفسى انتظرهما لاهديهما الى الطريق السوء ـ طريق الجسد ـ والفناء فيه . طريق الشهوة الجامحة التى كتب لها البقاء على لوح اللذة والاستمتاع .

فقال البلبل غاضبا وقد احتدم غيظه :

ـ ولكنك لن تضل من هديته انا . وباركته .. انك لن تستطيع

فقال الشيطان مبتسما مطمئنا :

ـ ولكنك لن تجد أقدر منى على تضليل من هديت ..

وصمت لحظة نشر فيها جناحه الاسود الاجرب وعقب :

ـ واعتقد ان هذا البقاءدبره لنا ابونا الخالد « الشر » لحكمة تعود على الدنيا بالنغم والكسب . فانا وانت فى صراع دائم مادامت الدنيا . فلم لانثوب الى رشدك . وتنضم الى . انا بالشهوة واللذة والجسد . وانت بالغرام والحب والروح . بذلك نغرق الدنيا فى بحر ـ الشر ـ الذى يجب ان تغرق فيه . وبذلك نريح ونستريح . الست معى أيها الملك الكريم ؟ ؟

فقال البلبل . ومرجل غيظه يكاد ينفجر :

ـ ولم لاتثوب أنت الى رشدك ايها الفاجر . وتنضوى تحت لوائى . اهديك واطهرك . واستعين بك على توجيه الانسانية الى الخير ..

فقال الغراب مبتسما :

ـ ولكنى أشد منك مراسا . ولاتنس ان الغلبة لى ..

ـ ان الغلبة للخير . الذى اليه المصير .

فقال الغراب جادا :

ـ ان مبعث شقاء الانسانية هو هذا الخير الكاذب الذى به تتشدقون فاعلم ايها الملك الكريم الذى سخره الخير المموه . أن الخير . ومشتقاته الخيالية . الطهر . والشرف . والقلب . والروح والوفاء . والاخلاص ماهى الا أسماء سميتموها . وترهات خلقتموها . واضفيتم عليها من معسول الفاظكم . ما جعل لها هذاالرونق الخلاب الذى هو مبعث شقاء الانسانية وسر تعاستها . واولا ذلك ما بعث بى ابونا الخالد ـ الشر ـ العظيم ومكن لى فى الارض . الا لاهدى من اغويته انت ..

فقال البلبل :

ـ انك واهم . انك فى ضلال مبين انك اضعف بكثير مما تظن . ان الغلبة لى انا . والبقاء لى انا . والخلود لى انا . الم تعرف قول الله ..

وهنا انتفض الشيطان . وارتعدت فرائصه . وقال :

ـ اننا هنا نتكلم فى الارض . فاى شأن لنا بما انزلت السماء ... ومع ذلك اتراهنني .

ـ على ماذا ..؟

ـ ان من تكون له الغلبة ينضوى تحت لوائه الاخر .

ـ قبلت ذلك على أن تختار

ونظر الشيطان فالفى الحبيبين البريئين قد اقبلا يتهاديان . وقد يمما شطر الربوة الجميلة التى تواعدا اليها والتى أعدها لهما الحب .. فقال على الفور :

ـ على هذين الحبيبين نتراهن . أنت تختار من تشاء وانا لى الثانى ثم نبدا صراعنا . والذى ينتصر يأتمر المهزوم بأمره .

ماذا يقول
أحمد الصاوي محمد
في كتابه
عدد يناير ١٩٥٥
كتب للجميع عدد ممتاز ٨ قروش

فقال الحب مرحبا .

ـ انت الذى تختار أولا

فقال الشيطان قبل ان تفلت الفرصة :

ـ اخترت الفتاة

وقبل أن يرتد الى البلبل طرفه . كان الغراب قد تحول الى ذرة سوداء تطايرت فى الهواء . فاستنشقتها الفتاة دون أن تشعر وتسربت الى عقلها وكمنت فيه وتحول البلبل هو الاخر سريعا الى نفحة متضوعة حملها النسيم العاطر الى الفتى فاستنشقها ومن ثم تسربت الى ـ قلبه ـ واستقرت فيه .

واقبلت المراة التى هى الشيطان . والرجل الذى هو الحب . على الربوة وجلسا عليها يتناجيان ... وتركت (هدى) طرف ثوبها عامدة فانحسر عن فخذ بيضاء ناصعة ما أن راى محسن تبلورها . واكتنازها . حتى أغضى قائلا :

ـ انظرى الى هذه الربوة الجميلة ... وهذه الصفصافة التى أرخت شعورها علينا لتظللنا . وهذا البحر الذى تصدح موسيقاه تحت أقدامنا . وهذا النسيم العليل الذى يداعب شعرنا فى رفق . . ان هذه أشياء سخرتها الطبيعة لتبارك حبنا الخالد .

ثم نظر الى عينيها الواسعتين واستطرد يقول :

ـ ثقى يا هدى أن حبنا سيخلد خلود هذا النسيم العليل . خلود هذا البحر الابيض تحت أقدامنا .

فقالت وهى تلتهم بعينيها من شفتيه :

ـ أحقا أنت تحبنى ؟

ـ كما أحب الله الذى خلقك . وأحب قلبى الذى أحبك .

ـ ما الذى تحبه فى . ! ؟

ـ أحب فى عينيك صفاءهما ونورهما ، وفى صوتك براءته ، وفى ذيلك نقاءه ونصاعته .. أحب فى نفسك طهارتها وحبها للخير . وأحب فى ذلك

فيك الله الذى جعل الجمال آياته الكبرى . والذى جمع بيننا فى هذه الساعة التى تفضل العمر . !

قال لها ذلك . فكسرت جفنا مترنحا مهزولا . وارخت هدبا طويلا اسود على عينين ساحرتين وقالت سكرة الاعطاف :

ـ اما انا فاحب فيك شيئا واحدا لا يعدله شىء عند المرأة

احب فيك قوتك

واقتربت منه . والتصقت به . واردفت بصوت ضمخ السحر كل نبرة فيه :

احب فيك هذا الساعد المفتول . وهذا المنكب القوى . وهذا الصدر العريض الذى يحمى كل من يلوذ به .

ولمارات تخبط نظراته وحيرة لسانه ووجهه الذى صبغه الخجل بحمرة قانية . قالت ذاهلة محمومة :

ـ صدقنى .. صدقنى . ليس فى الوجود كله غير ثغرك هو الذى يطفىء هذه النار . وليس غير ساعدك القوى هو الذى يحمى العود الميادا . وليس غير صوتك هو الذى أخر له ساجدة .. أبدا وليس غير صدرك انت .. صدقنى .. حتى هذا الخجل احببته فيك .

وادنت ثغرها من ثغره . وصدرها من صدره . وثارت ثائرة ـ الرجل ـ وهم ان يضمها الى صدره الخافق . ويلهب ثغرها الظامىء لثما وتقبيلا . ولكنه انشغل بصوت ملائكى كان يناديه من اعماق ضميره فنحاها برفق وهو يقول :

ـ ولكن السماء ترقبنا . والله ينهانا ..

فقالت وقد همت بعد ان افلت من يدها زمام الجسد الثائر :

ـ ولكن الدنيا تدعونا

واسرعت لتلقى بالجسد المشتعل بين ذراعيه . لتتبرد باحضانه بيد

ان الصوت كان مايزال يناديه : فارتد خائفا . فانزلقت قدمها فجأة فهوت الى البحر .

ونظر محسن وهو على الربوة الى الحبيبة الطائشة التى تغرق فانخلع قلبه . وجحظت عيناه . ودون أن يشعر القى بنفسه خلفها فى اليم المتلاطم والامواج .

وبعد حين خرج حاملا لها على صدره بعد ان تطهرت من رجس الشيطان المنهزم الذى فر هاربا . والقى بجسدها الخائر الذى انهكته التراتيل والاستغفار فى الماء . ولما افاقت من هذا الحلم المزعج ، والكابوس الثقيل ، الذى جثم حينا على عقلها فأخبله والفت محسن ينظر اليها فرحا ـ بالنجاة ـ همهمت اليه بشفتيها الطاهرتين فتقدم منها وطبع على ثغرها قبلة خالدة رجعت السماء ترانيمها ـ وراح كيوبيد يرقص على انغامها ، ويطلق سهامه ، التى راحت فى الفضاء تدوى مزغردة تنشد اناشيد الظفر .

وبينما الحبيبة تسير فى جانب الحبيب منتشية تتهادى ، والبلبل ـ الخالد ـ فى طريقه الى عرشه الوردى القائم وسط الخميلة المتضوعة ، ومن حوله جنوده الابرار ترتل اناشيد النصر ، كان الغراب الكالح السحنة فى الصحراء ناشرا جناحيه الاسودين على حفنة من ـ الكلاب ـ تأكل فى جسد عفن ، كان فيما مضى لاعرابية جميلة ترعى الشاه فى الصحراء . . .

يوم الوداع

كان الضباب لايزال مكتنفا القرية . حاجبا عيونها بغلالته الداكنة ، حينما تسلل منها حاملا على ظهره سفطه الملىء بالبلح لينظفه ويغسله فى النهر ، حتى اذا ماقدمه الى زبائنه فى المدينة قدمه نظيفا غير ملوث .

وكان يسير على عادته فرحا مبتهجا بمولد الشمس التى اعتاد ان يحتفل بمولدها كل صباح ، وهو ينظف بضاعته فى النهر . . غير انه قبل ان يبلغ الشاطىء توقف عن السير وحول نظره ناحية الشمال فتراءت لـه مزرعة القصب المتاخمة للشاطىء ، واستطاع ان يتبين (الخص) الصغير المقام على راسها كالنصب التذكارى ، والذى لاح له من بعيد وسط الضباب الـكثيف المتراكم كنقطة ضالة فى تيه خضم غير محدود . ولكنه مع ذلك لما نظر اليه وامعن فيه خيل اليه انه يراه ، وان نظراته قد لفت جوانبه لفا واستقرت عليه ، ثم هى تتسلل خلسة الى داخله . وتذهب باحثة متحمسة لتقع على ذلك الجسد الرخص المتمدد على حصير خشن من القش فتقف عليه حينا وكانها تباركه وتحفظه بالرقى والتعاويذ . ولما تزودت نظراته بالنشـوة التى تفيض على قلبه وتغمره . . . راح يجمع خيوط نظراته ويشدها فى رفق عن الجسد الغافى ثم من اعراش القصب التى تنى منها (الخص) ومن ثم عاود مسيره نحو الشاطىء مسرورا مرددا اغانيه الريفية الجميلة التى اشتهر بها فى القرية والتى كانت سببا فى رواج بضاعته فى المدينة .

وما ان بلغ ـ الموردة ـ حتى كان قد شمر عن ساعديه وجمع اطراف ثوبه البالى الممزق وحزمها على خصره ، ثم اندفع الى الماء دافعا امامه سفطه الثقيل الذى راح يعمل فيه بيديه ، وهو اقوى مايكون نشاطا ، واقوى مايكون سعادة خالصة لاينقصها الا وجود الحبيب الذى راح يتساءل عنه بصوته العذب الجميل

صبح الصباح ياجميل وانا على الموردة بدرى
كل البدوره بتورد وخلى لم ورد بدرى

غير انه لم يكد يبدا اعادة الاغنية حتى تناهى الى اذنيه صوت رقيق خفيف كانه النسيم او كانه حفيف الزهر ، ينبعث فجاة من خلفه فانتشى له كيانه واهتز السفط الذى بين يديه فتراقص على الماء .

ـ صباح الخير يارعى ..

ـ صباح الخير ياعيشه ..

ومد يده مسرعا وتناول الجرة من فوق راسها وهو يقول مغتبطا :

ـ لماذا استيقظتى مبكرة هذا الصباح ؟

فقالت وهى تجمع اطراف ثوبها الاسود الفضفاض وتدسها فى تكتها فبدا سروالها الاحمر القانى الذى تدلت اطارفه ذات الكرانيش المنتفخة المعششة تداعب ذلك الخلخال الفضى اللامع الذى نام مستسلما بين الساق والقدم :

ـ استيقظت على غنائك الجميل فجئت اصبح عليك واساعدك فى غسل البلح ...

واندفعت اليه فى الماء ، واخذا يعملان معا فى تنظيف البلح وهما يلعبان ويضحكان حينا ، ويتذاكران احيانا ايامهما الماضية ، وفضل هذه الموردة التى جمعت بينهما . فقد كانت تاتى اليها كل صباح لتملأ الجرة ، وكان ياتى اليها مبكرا ليغسل البلح ، وكانت تطرب لغنائه ، كما كان يطرب لطلعتها .

وظلا كذلك اياما كان الحب يرقبها فيها عن كثب ويتتبعهما فى شتى المراحل التى قطعاها على الموردة ، او فى الطريق الى القرية . وحين اطمان الى نقاء سريرته وطهارة قلبها ووجدها جديرة بالزهرة المقدسة ، تقدم منها خلسة . وغرس فى قلبها تلك الزهرة الطاهرة التى اخذت هى على عاتقها تغذيتها ، واخذ هو على عاتقه سقياها ، الى ان نمت وطاب قطافها فاتفقا على الزواج .

بيد انهما انتظرا تذليل تلك العقبة الكاداء التى اعترضت سبيلهما وهى الحصول على الجنيهين الباقيين من قيمة الصداق الذى اتفقا على ان يكون كبيرا ضخما ترضى به الام العجوز المتكالبة على الدنيا . والتى رغم اشرافها على الثمانين ابت الا ان تظل حارسة لمزرعة القصب ، التى استاجرها حديثا

ذلك الجزار المثرى السمح الذى أتاحت له هذه الحرب أن يكون من كبار الاثرياء فى القريه ، والذى بهره جمال عائشة وفتنتها وسحر وجهها المشرق البسام . فراح يتودد اليها محاولا اغراءها بافانين العروض وشراء قلبها ولو بكل المال الذى يملكه ... ولكنها اعرضت عنه واحتقرته ، وافهمته بلغه الصمت البليغ ، أن قلب المراة غير قلب البقرة التى يشتريها بالمال ويعرض لحمها على الناس فى السوق . ثم تركته وانصرفت الى برعى الذى يكاد الدم يتفجر من قدميه من كثرة تجواله طول النهار واغلب الليل فى ازقة المدينة ودروبها الشبيهة بشقوق الثعابين ، ينادى على بضاعته ليجمع من ربحها صداق عائشة . كما كادت عيدان الحطب تأتى على أطارفها وتأكل ثوبها الذى لاتملك غيره وهى تجنى من بينها القطن للناس بأجر قليل تعطى أمها العجوز أكثره وتختلس هى اقله وهو الذى يمكنها اختلاسه وتقدمه لبرعى وبذلك تساهم معه بنصيب فى جمع هذا الصداق الذى اتفقا على أن يكون كما قالت الام ذات مرة ، خمسة جنيهات لا تقل قرشا واحدا .

جالت برأسيهما كل هذه الافكار والخواطر ، وهما فى الماء ينظفان البلح وينظر كل منهما الى الآخر نظرات فيها الكثير جدا من الحب والحنان وفيها الكثير أيضا من الغزل الساذج البرىء الذى كانت تعبر عنه عائشة بعينيها السوداوين الواسعتين . . . ولما تجده قد فهم ، تعود فترد عنه الطرف ضاحكة ، فتتقد جذوة الحب فى قلبه ، وتستعر نارها ، فتلمع عيناه وتهتاج عواطفه .

وانطلقت حنجرة برعى فى الفضاء الممتد أمامه ، وراح يغنى بصوته العذب الذى انتشى له الطير فى السماء ، وسكرت منه صفحة أليم وترنحت أمواجه وغدت تمر عليها مخمورة متمهلة لتستمع الى برعى وهو يردد :

بلدى أبو صير والتل الكبير وبنه والورد عشش على خد الجميل وبنا
والبطن قسطة لفايف والعسل له قنا انا قلت ياجميل دوقنى العسل قالى
خذ بنت عيشة تعرف ليالى الهنا

وكأنها فهمت أنها المقصودة بهذا الغزل الجميل ، وهذا الوصف الرائع ، فاستدارت خجلة ، منكسرة الجفن ، متوردة الخد ، مسترخية الاهداب . ثم انصرفت تحمل جرتها ... وانصرف هو مبتهجا فى طريقه الى المدينة يحمل على كتفه سفطه وينادى على بضاعته .

وانقضى اليوم صافيا ، كما طلع صبحه مشرقا بساما ، وحين اقبل المساء عادت عائشة من الحقل الذى كانت تعمل فيه فرحة مستبشرة كعادتها من يوم أن عرفت برعى وأحبته ، غير أنها لما عادت فى هذا المساء لم تجد أمها

فلا هى فى ـ الخص ـ ولا هى فى مزرعة القصب ولا هى أيضا على جسر القناة تسقى البقرة ... ولما سألت عنها عرفت أنها فى القرية ، وأنها تنتظرها هناك عند خالها الشيخ عطا

واستغربت عائشة لهذه الزيارة الغريبة التى دعت أمها أن تذهب الى دار شقيقها رغم الجفوة التى بينهما والتى حرمت على الشقيقة العجوز أن تدخل بيت شقيقها من سنين .. ولعلها مع ذلك راحت تنقل الخطى نقلا الى القرية ، وما أن أشرفت عليها وطالعتها دار خالها حتى رأتها مزدانة بجمع كبير من اهل القرية يتوسطهم الشيخ مروان والمعلم خليل الجزار .

وما لبثت أن ارتدت خائفة مذعورة حين رأت ذلك فقد ساورتها فكرة خبيثة كاد قلبها يسقط بمجرد التفكير فيها ... ولكن أيمكن هذا ؟ . . . أيمكن أن يكون هذا الجمع الغفير الذى يتوسطه عمدة القرية انما اجتمع ليحتفل بتقديم الذبيحة الى الجزار ...

أيمكن أن تكون أمى قد ارتكبت فى حقى هذا الجرم . وأن خالى تراضى معها على حساب دنياى وحياتى وقلبى ... وسمعت فجأة الزغاريد تتصاعد مدوية ورأت الناس يشدون على يد المعلم خليل الجزار مهنئين مباركين فارتاعت وهمت بأن تغلق عينيها لتبعد عن خاطرها شبح هذا المشهد . ولكن ابنة خالها سكينة كانت قد اسرعت اليها واحتضنتها فى حنان وهى تقول :

ـ مبروك عليك العريس ياعيشة .

وجحظت عيناها وهى تحملق فى محدثتها وتتمتم .

ـ عريس من . ؟

ـ عريسك انت .

ـ من هو . ؟

ـ المعلم خليل .

وضحكت سكينة ... ثم أردفت :

على سن ورمح ... دفع فيك خمسين جنيه مهر اكثر من عزيزة بنت العمدة .

ثم تركتها سكينة . وانطلقت تركض لتظفر بكوب من الشربات الذى يوزع على المدعوين .

وهوى راس عائشة . الذى الهبته الحمى على صدرها الخافق المضطرب ،

ومن هناك عاودت سيرها نحو « الخص » تمعن في مشيتها . وكأنها تعد قطرات الدموع المتساقطة من عينيها وتحسبها قطرة قطرة . والقت بنفسها في ركنه المظلم تبكي قلبها الذي دهمه الخطب وحطمته الفاجعة ، وازرت به ريح الاحزان العاصفة الهوجاء فأصابتها شبه اغماءة اذهلتها عن كل شيء حتى عن امها التي كاد الفرح يتفجر ابتساما من عينيها .

وفي الصباح لم تستيقظ لأنها لم تنم . وانما افاقت من ذهولها وتخلصت من ليلها الطويل القاسي ، وتناولت جرتها وغدت تركض الى ـ الموردة ـ لتنتظر برعي الذي ضايقها انه لم يسع اليها في الليل ليسألها خبر هذا الخطب وتسأله امر هذه النازلة . ولكنه لم يجيء ايضا في هذا الصباح ليراها ولا هو جاء حتى ليغسل البلح ... ولكن اين هو . لا اين ذهب . واين انتهى به المطاف ... ترى هل غادر القريه بلا رجعة ، أم القى بنفسه في اليم ... أم تراه قد فدحه الخطب وصرعه النبأ فطوح بجسده تحت عجلات ـ الوابور ـ السريع الذي يمر على القرية كالبرق . والذي حدثها مرات عنه وعن اعجابه بسرعته الخارقه ؛

وانسكبت دموعها غزيره على خدها المقرور الذي تجمد ، وزاد في انسكابها انها التفت في طريقها (برمانه) ابنه صاحب مزرعه النحيل التي يتبصع منها برعي كل يوم ، واخبرها ان برعي لم يات البارحه لمزرعه لعادته ، ولا اليوم ليأخذ بضاعته . ورجعت مسرورة الى الخص ، فوجدت أمها وخالها الشيخ عطا وابنته سكينه في انتظارها ... وما هي الا دقائق حتى سافروها الى بيت خالها في القريه لتمكث فيه حتى تخرج منه (بالمزيكه) الى بيت العريس .

ومرت ايام . قضاها اهل القرية يعدون الساعات ويحسبون الدقائق انتظارا لطلعه هذا العرس الذي سيفيض منه الخير على القريه . وقضتها عائشة تبحث بالدموع وحسرات القلب عن حطام الحبيب الذي ابتلعه اليم او اكلته عجلات القطار .

واقبل المساء المشئوم الذي ازدانت فيه دار الشيخ عطا بالاعلام والثريات احتفالا بليلة (الجلوة) التي تسبق الزفاف ، ولم يبق سوى هذا الليل الذي تخضبت فيه عائشة وارتدت فيه الثوب الحريري الاحمر لتذهب في الغد العروسة الى بيت العريس . أو على حد تعبير عائشة لنفسها تذهب الشاة الى بيت الجزار . ولكن .. وقبل ان ينقضي هذا الليل الاسود الطويل شاء القدر ان يبرز برعي من ثنايا العدم ، وان تلتفت عائشة فجأة فتراه مارا من أمام الدار التي فتحت كل ابوابها في هذه الليلة وما ان رأته حتى اشارت اليه مرتعدة اشارة استطاع برعي رغم اللوثة التي اصابت عقله

أن يفهمها ، وما هى الا لحظات أيضا حتى كانت الحبيبة قد غافل قلبها الرقباء ، وانطلق يعدو بها الى سطوح الدار لتتزود من الذى تحب فى اللحظات القلائل الباقية من دنيا الهناء والحب .. ووقف برعى مشدوها ينظر الى حبيبة قلبه وهى فى ثياب العرس الحمراء دون أن يعى شيئا أو يسمع حرفا مما تقوله له عائشة فى الظلام .. ولكن دمعة انحدرت من عين عائشة وكأنها كانت جذوة من نار سقطت على وجهه فأحرقته .. هذه الدمعة هى التى أخرجته من صمته ، وأعادته قليلا الى حياة الناس — وهى التى جعلته يقول وهو يبتسم من فرط ما يعانى من حسرة ولوعة :

— لقد استأجرنى أحد زبائنى فى المدينة لأجنى له ثمار نخيله نظير أجر فرحت به فرحا لا أحسب أن الله كتبه لمخلوق لأنه كان القروش المكملة للجنيهين لاستيفاء الصداق .

ثم وضع يده فى قلب السفط الذى لا يفارقه ، وأخرج منه صرة انعقدت على كمية من القروش والملاليم وقطع فضية صغيرة كانت فى مجموعها تساوى الجنيهين وقال باكيا :

— عائشة .. هذا هو صداقك قد حصلت عليه . .

فخلصت شفتيها من بعض الدموع التى تزاحمت عليها وهى تقول :

— ولكنهم باعونى ان دفع الثمن مضاعفا يا برعى .

— ولكنى أحبك ياعائشة .. !

— ولكن القدر أبى الا أن يطعن القلب بمدية جزار .. !

ثم أجهشت باكية وتناولت يده المقرورة المرتعشة وهى تتمتم :

— برعى .. انس .. انس — عيشة — انس طلعة الشمس عند الوردة وغسيل البلح فى المية .

ثم تسللت فى الظلام تصغى الى قطرات الدموع التى كانت تتساقط على ثوب العرس الأحمر .

وفى عصر اليوم التالى .. بينما كانت القرية تفخر بأعظم عرس عرفته وكانت الأم تحتفل بأسعد أيامها ، وهى ترى — الموكب — تتقدمه « المزيكة » والطبول تدق دقات الفرح . والهودج يتهادى بالعروس ، فى طريقه الى بيت العريس . كان برعى يرى جالسا على ناصية زقاق ضيق من أزقة المدينة منطويا على نفسه ينظر الى سفط صغير أمامه به حفنة من البلح الاسود الحامض ، قد تكدس عليها الذباب وهو يتمتم مغنيا .

صلاة النبى على عيشة . وبلح عيشة .
ياريت يوم الوداع ما كان يا عيشـــة

ترقية

كان له سبعة عشر عاما يعمل فى ديوان الحكومة ، كما يعمل حمار الوسية فى الحقل . وما كان من فرق بين الاثنين الا فى الرزق ، الحمار يأكل وهو يجوع ، والحمار يرتع وهو مقيد ، والحمار أعزب وهو متزوج أربعة جنيهات عين بها كاتبا فى الوزارة وكان فى تلك الوقت وحيدا لا زوج له ولا اولاد ... ومرت الايام ، ودارت عجلتها المشئومة واصبح ذا زوج وأولاد ، زيد العمر سبعة عشر عاما وزيدت الاسرة سبعة اشخاص وزيدت الجنيهات جنيهين ، كل شىء تغير تغيرا ملموسا الا هو ورزقه ، حتى عم أحمد الفراش مات وجىء بغيره ، حتى لون المكتب الذى يجلس اليه أحالته الايام من اصفر لامع الى أسود باهت ، حتى الزملاء كم منهم من اقبل صغيرا وأدبر وهو كبير .

حتى الرؤساء تغيروا وتبدلوا وتعاقبوا ، وجىء اخيرا بزكى أفندى ، أستغفر الله ، بل صاحب السعادة زكى باشا ، زكى الذى عين معه فى يوم واحد وكان يوما يقطن معه فى حى واحد ، ومع ذلك أصبح صاحب السعادة وأصبح رئيسه الاعلى لا يطمع يوما ان يتشرف بالمثول بين يديه أصبح صاحب الامر والنهى فى الوزارة بيده أرزاق الناس ومصائرهم ، يعطى ويمنع ، ويوصل ويقطع ، ويرضى فترضى الدنيا ، ويغضب فتتنكر لك فى زى بشع ينخلع له قلبك .

كل ذلك وهو لايزال كاتبا فى الارشيف بستة جنيهات قابلة للنقصان ان هو تاخر يوما عن الميعاد خمس دقائق . كل ذلك ولا فرق بين الاثنين فى شىء ، الا أنه من ابناء الشعب ، وزكى من ابناء البيوتات ، لذلك دارت عجلته شمالا ، ودارت عجلة زكى يمينا ، ولله فى خلقه شئون ، وللقدر فى

تصاريفه عجائب ، وليت العجائب وقفت عند هذا الحد . او كانت وقفا على هذا الحـد.

وكان قد بلغ أول الطريق ، فوضع يده فى جيبه واخرج تلك الرسـالة الغريبة المريبة الغامضة التى وصلته أمس غفل من الامضاء ، وادناها من عينيه ، وراح يقرأ للمرة العشرين أو المائة بعد العشرين وهو لايدرى « كن حـذرا » .

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حـين يلقى العاشقينا

هذا كل مافى الرسالة ، ولـكن ما معناه ؟ وما المقصود منه أو به ؟ اى غرام قديم واى حب مفقود ؟ اى مشوق تعزى ، واى مشتاق تمنى ؟ ترى من يكون هذا العاشق ؟ ترى من يكون هذا المعشوق ؟ .

ولـكن ما علاقته هو بهذا ؟ ما الصلة التى بينه وبين هذا البيت القديم من الشعر ؟ هل هو المقصود به ؟ انه لم يحب فى حياته غير زوجته وهى بحمد الله لم تحب غيره ، ولم تبتعد عنه فى يوم لحظة ، ولـكن ترى هل هى المقصودة بهذه الورقة ، بهذا البيت من الشعر ؟ .

واقبل الترام ودوى ازيزه فى أذنية فتذكر نفسه وتفكيره الآثم وخطاه البين ، فاعاد يده الى مكانها ، وصعد نفسا القى معه بما كان فى خاطـره من ظنون سوداء ، ثم ركب الترام ، ومن ثم عاد ايضا الى الواقع الـذى يؤذيه والذى يقض مضجعه .

ان ابنه فؤاد طردته المدرسة امس ، لقد ذهب الى الناظر ، وكاد يبلل يديه بالدموع وهو يبثه شكواه

فاشـاح بوجهـه عنـه ، ولمـا هـم بأن يقبـل يـده مـرة اخرى امر الفراش بطرده فماذا يصنع بعد هذا ؟ ثم ابنته فقد ذهب بها الى المستشفى الذى فتح ابوابه للفقـراء والمساكين من ابنـاء الشـعب فأعطوها نفس ذلك الدواء الذى اعطوه لـه ايام كان مريضا ، واعطوه لاختها ايام كانت مريضة ، واعطوه لامهم ايضا ، بل ويعطونه لـكل من ذهب اليهم كأن المرض فى الدنيا واحد ، والدواء فى عالم الطب واحد ، ان ذلك المزيج السائل الذى يطلقون عليه مرة ـ راوند وصودا ـ ومرة ـ سلسلات ـ

بل يطلقون عليه عدة أسماء وهو واحد ، كان الوحدانية عندهم هى دواء الفقـراء .

وكان قد بلغ الديوان ، فأسرع وجفف دموعه التى كانت قد انحدرت من عينيه ، وجلس الى مكتبه شبه هادىء ، ووضع يده فى جيبه ليخرج المفتاح فاصطدمت أنامله بورقة فأخرجها فاذا بها « كن حذرا » .

فذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

وتناول قلمه وراح يواصل عمله اليومى ، وفجأة تذكر أمرا ، فألقى بالقلم وراح يفكر من جديد . هل تنجح زوجته فى مسعاها هذا الصباح ، لقد قالت له الليلة بعد ان طرد الولد من المدرسة ، وزادت العلة على البنت أن لها صديقة فى الزمالك على صلة بحرم صاحب السعادة زكى باشا . فستذهب اليها وتشكو لها الحال وترجوها بأن تتوسط لدى الباشا عساه ان يصلح لهم الحال ، وعساه أيضا أن يوافق له على اسبوع أجازة ، يذهب فيه الى شقيقته الميسورة الحال فى الاسكندرية لعلهـا تعطيه شيئا يخلصه من هذا الضيق ولو الى حين .

وبينما هو يفكر فى هذه الناحية بالذات ، ناحية الاجازة ، والتى لايمكن أن يوافق عليها سعادة الباشا بعد أن أمر بعدم منح أجازات للموظفين بحال من الاحوال ، ومهما كانت الاسباب ـ بينما هو كذلك اذا برئيس المكتب يقبل عليه ويستكتبه طلبا بالاجازة وفق أمر سعادة الباشا ، واذا بالاجازة يوافق عليهافى الحال ، واذا به ينصرف الى بيته فرحا بهذه الاجازة التى يستبشر بالخير العميم من ورائها ، مهموما بأجر السفر ، وثمن التذكرة التى سيسافر بها ، ولـكن زوجته حلت له هذا المشكل ، فقد بسطت له يدها وناولته خمسة جنيهات اقترضتها من صديقتها التى فى الزمالك واذهلته المفاجأة ، وماتت نظراته على تلك الورقة الملونة الجميلة ذات الجنيهات الخمسة . ومد أنامله وتناولها غير أنه حانت منه التفاته الى وجه زوجته فاذا به مبلل بالدموع والى عينيها فاذا بها مقرحة منطفئة كجبينها المظلم المعتم . وحين سألها عن هذا البكاء ، قالت وهى تكفكف عبراتها . انها انما تبكى من فداحة ثمن الدين . فقال دون أن يفهم :

ـ وهل للدين ثمن غير رده ؟

فقالت وهى تنصرف ذاهلة منهلعة القلب :

ـ أن نقطة الدم غير نقطة الماء وان تقابلنا فى الميزان ! !

فقال وقد تبعها وربت على كتفها :

ـ ستسددين دينك قريبا ! وسأعود من عند شقيقتى اكثر فرحا مما تظنين ! وأحسن حالا مما تقدرين .

وفى المساء كان القطار يقطع به ذلك الطريق الطويل ، وبعد ثلاثة أيام ايضا عاد يقطع به نفس الطريق . واقبل على داره وكان رجليه عصوين يتوكأ عليهما من هول ما يحمل من ألم وخيبة رجاء . ان أخته خيبت أمله فيها ، ولكن على الرغم منها فزوجها الذى كان يشتغل فى الجيش فصلته السلطات منذ شهور واصبح دون عمل .

ووقف بعيدا قبل أن يبلغ الدار فماذا يقول لزوجته ، وماذا يكون أمرها لو علمت بخيبته . لقد بكت يوم ان استدانت ، فماذا حالها يوم أن تعجز عن السداد ؟ وماذا يعمل هو ؟ أيظل ابنه مطرودا من المدرسة ؟ أتظل ابنته مريضة ؟ أتظل هذه الدنيا كذلك سوداء معتمة ؟ أتظل انفاسه هكذا متدهورة وعقله الشارد فى غير موضعه ؟ أتظل أمعاؤه التى عضها الجوع هكذا خائفة تترقب واذا كان هو كذلك فما بال تلك الامعاء الرخوة الوليدة أمعاء فؤاد الصغير ، وفاطمة المريضة .. ؟

وفرت من عينيه دمعة فجففها ، وواتته فكرة سوداء .. ولكن اذا مات فهل ستموت معه تلك المصائب ؟ انها بلا شك ستجد من موته ومن ابتعاده مرعى خصيبا يعينها على البقاء فى الدار الى الابد .. اذن فماذا يصنع . ؟

واقبل الجندى الذى مر عليه فى الليل منذ حين فألفاه مازال مكانه أو الفاه يتقدم خطوة ويرجع خطوات وكأنه اشتبه فيه فناداه فرد النداء ومن ثم دلف الى البيت .

وبينما كان ينقر على الباب بيد مرتعشة مهزولة ، نقرا فيه خوف ، وفيه تهيب ، وفيه لوعة ، أحس بشىء فلمعت عيناه وتدهورت انفاسه وتصلبت شعرات رأسه تحت طربوشه القديم الباهت الحائل اللون وكاد يسقط لولا انه فتح الباب ومد له صاحب السعادة زكى باشا يده وحياه وهو يقول ...

(مبروك يا عبد الحميد افندى الوزارة منحتك علاوتين ودرجة) .

عقول الاطفال

يا لاولئك الرجال الذين يحملون فى رؤوسهم عقول الاطفال ...

تلفظت حروف هذه الكلمات فى شفتيه ، تلظى نار تطايرت حمما من ذؤابات جذوة مشتعلة ، وتراخت ذراعه ووهنت يده فسقط عنها فى هداة الليل ذلك « المظروف » الذى عثر عليه مصادفة فى مخدع زوجه ، يضم خمس رسائل من رسائل الغرام الآثم الخبيث . على انه سقط بجسده سقوط الرسائل وارتمى على المقعد خائر القوى ميت الحس والشعور ، ولولا بعض الزفرات التى كانت تنفلت خلسة من بين شفتيه . وبعض النظرات التى كانت تصدر عن عينيه بين الحين والحين ، فتلتمع وسط سكون الليل الشامل ، لظننته جثة سقطت فى لجة الليل من مخلب طائر كاسر فاستقرت على المقعد الذى انطرح عليه .

ومرت لحظات لا يدرى اطالت هى أم قصرت ، فهو لا يعى الا انه فتح عينيه فاذا بالخوف يعاوده ، والذعر والاضطراب يكتنفان كل جارحة فيه . فقد رأى المظروف لا يزال ملقى امامه حيث هو من الارض . فأيقن أن الامر حقيقة ، وانه لم يكن ـ كما كان يتمشى ـ عبث حلم سخيف فى ليلة مملة من ليالى الشتاء ... ونظر الى المظروف طويلا ، وتأمله مليا بعينيه دون ان يجرؤ على لمسه بيديه . ثم تمتم والدموع تنساب بغزارة على وجهه الاصفر الذى شحب فجأة :

ـ أكاد أجن .

ـ ولكنك لم تكن أول زوج تخونه النساء .. !

وانتفض مذعورا وتلفت خجلا .. فقد حسب أن أحدا معه في الغرفة فيقف على فضيحته ، ويرى دمه المهراق وعرضه المباح وشرفه الذي مزق تمزيقا . ولما لم يجد احدا غيره فيها انفرجت أساريره بسخرية مريرة وتمتمت شفتاه :

ـ ولكني لم اكن ككل زوج ، لقد كنت نعم الزوج ... ان حبي لها وسعادتي بها كانا مضرب الامثال ..

وهم بأن يقول شيئا آخر ، ولكن الدموع غلبته فشغل بها حينا ، ثم عاد الى الهذيان الموجع الأليم . وفي غير قصد الفى نفسه يعيش مع الماضي ، الماضي القريب بسعادته ، والبعيد بشقائه ومرارته . فلو انه اتيح لانسان أن يحصي لحظات السعادة التي استطاع أن يختلسها من العمر ويسرقها من الزمن ويحسبها حساب الايام والسنين . لما كانت اكثر من تسعة الأشهر التي حملت فيها زوجه ، وقد جاءت هذه الشهور بعد ست سنوات سود ، انفق خلالها كل ما كان يملك من مال ، ويدخر من جهد . لعل الله يشفي زوجه من عقمها ، ويريحها من عناء تلك الدموع التي تنفقها في غير حساب ، وعساه ان يجعل ريح الشمال تأتي يمينا ، وترد لامراة من النساء اعتبارها كزوجة ...

ان غاية ما كان يطمح اليه ويتمناه على دنياه ، هو ان يصبح ابا ، وتصبح زوجه العزيزة اما . وتصبح هذه الدار هانئة تشيع فيها ابتسامات طفل ، ويعلو فيها صراخ وليد . وقد حقق الله هذه الآمال ، وحققها فجأة وعلى غير انتظار . لذلك كاد قلب الزوجة يسبق شفتيها ليزف اليه النبأ السار . اما هو فمن فرط السعادة التي طافت به ، والفرحة التي غمرته ، لم يفعل اكثر من ان نظر اليها مخضل الطرف ، وشكر الله الذي بدل بالعسر يسرا ، وبالسعير فردوسا ، وبجحيم الارض نعيم السماء وبهجتها ، وختم الشكر بقبلة حارة طبعها على شفتيها . ثم

انفلت من بين ذراعيها ، وخرج من الدار مسرعا يعدو كالطفل ، ويزف النبأ للأهل والأصدقاء ، ولمن يقابله من غير الاهل والاصدقاء . وهكذا مرت أشهر الحمل الاولى خفيفة رشيقة حلوة كأحلام العذارى . ولما احست الزوجة بآلام الوضع أبى عليها أن تضع كما تضع عامة النساء ، فلا بد من أن تنقل الى ارقى المستشفيات ولا بد من أن يؤتى لها بأمهر الاطباء .. ولما جاءها المخاض اختلط عليه الامر ، فقد امتزج خوفه عليها بفرحته بها . ولكن ذلك لم يدم أكثر من ساعات جاء على أثرها النبأ الذى ملأ الدنيا انسا وبهجة . فقد وضعت الزوجة العزيزة طفلا كان على ابويه أعز الاطفال الذين جاءوا الى الدنيا مذ خلق الله الكون وجعل الابناء عروته الوثقى .

وكان لا بد لهذا الطفل العزيز من أن ينعم ، وكان لا بد لهذا النعيم من حاجات ، يطلب بعضها المستشفى ، وبعضها طلبته أمه ، وبعضها الآخر اخفاه بينه وبين نفسه . وقد أجيبت جميعها ولم يبق منها غير هذا السرير الصغير الذى جاء به الليلة الى الدار لينام فيه الطفل عندما يعود غدا الى الدار مع أمه .

وقضى الليل وحده كالحائر وسط المخدع ، انه ان وضع سرير الطفل عن يمين هذا السرير الكبير ، فانه يخشى على ولده من الهواء حين ينسل خلسة من النافذة فى الليل . وان هو وضعه عن يساره فسيواجه الباب حين يفتح أو يغلق . وان هو نقل السرير الكبير من موضعه الى ذلك المكان الخالى من الغرفة فيتعذر فتح مصراعى الدولاب الكبير .

وفكر واجهده التفكير . وتمنى لو ان الخادم بقيت فى الدار هذه الليلة ولم تطردها زوجه قبل أن تذهب الى المستشفى بأيام . اذن لأشارت عليه الليلة بالمكان الملائم .

وأخيرا اهتدى الى حل موفق ، هو أن ينقل هذا الدولاب من مكانه .

وبذلك يجد المكان الملائم لهذه الارجوحة الصغيرة التى تضم امل الدنيا وفرحتها .

ولما انتهى من ذلك كله فتح عينيه ليرى المكان الأمين الذى اعده لفلذة كبده ، ولكن سرعان ما ارتدت نظراته وجلة تترقب ، فقد وقعت اول ما وقعت على المظروف الذى كان لا يزال ملقى امامه فى الارض والذى عثر عليه مصادفة وهو ينقل الدولاب .

ولمعت عيناه فى سكون الليل ، واربدت سحنته واكفهرت حتى بدت معتمة ممعنة فى السواد كفلائل الليل البهيم ، ولولا بعض الزفرات الحارة التى كان يصعدها بين حين وآخر وتلفظها شفتاه لفظا من شدة التوجع المكبوت الذى يعانيه لقضى عليه ومكث كذلك لحظات مد خلالها ذراعا واهية محطمة كأحلامه التى انهارت . وتناول المظروف عن الارض ، وعاود تلاوة بعض ما فيه من رسائل ...

انها تطفح بالجريمة والاثم . كما يطفح الاناء القذر بالماء الملوث .. انها من حيوان آدمى يصف سعادته بالولوغ فى الدم ، ويتحدث عن فرحته بأكل لحوم البشر ، كما تتحدث الخنازير عن فرحتها بالمستنقعات التى تطفو عليها القاذورات والجيف .

وادنى احدى الرسائل من عينيه ، وتأملها مليا لعله يعرف خط صاحبها . ولكنه لم يكن يعرف فى حياته مثل هذا الغبى الذى يجهل من قواعد الاملاء حتى ابسطها .. وقرأ رسالة أخرى ، انه يصف القبلة من شفتيها بانها كالاكل من التفاحة ... وارتسمت أمام عينيه على صفحة الرسالة شفاه زوجه فاذا بها حقا طرية ندية حلوة .. ولكن ترى هل هى كالتفاحة حقا ! وعاود النظر الى الرسالة مرة اخرى واذا بالعشيق يصف خدود معشوقته لا شفتيها . واذا به ايضا يرى وجه زوجه مايزال مرتسما امام عينيه على الرسالة . واذا بها تطرب لهذا الوصف الجميل ، واذا بخدودها حقا من الطرب والخفر تبدو تماما كالتفاحة .. يا للنساء ! الى هذا الحد يجرح

اكفهن الحرير ، ويضمد جراحهن الشوك ..؟ وهل كنت من الغباء والبلاهة الى هذا الحد ..؟ وانفلتت من بين شفتيه زفرة ملتهبة وتمتم .. حقا اننى لأبله .. حقا اننى لمجنون .. لقد كان يجب على أن أفطن الى ذلك كله من زمن بعيد .. من تلقاء نفسى .. من الزينة والبهرجة التى كانت تتبدى بها كل صباح ومساء .. من كثرة تغيبها عن الدار .. ثم من فرحتها التى لاحد لها بالجنين الذى كانت تحمله بين احشائها .. ولكن هذا الجنين .. هذا الطفل .. اهو ..؟ هو ماذا ..؟

وفغر فاه ولمعت عيناه وجحظت جحوظا مخيفا وكأنها تقذف بالشرر . كما تصلبت شعرات رأسه حتى غدت فوق جبهته كالحراب المسددة . وفجأة انفلت زمام صوابه فلطم جبهته المحمومة لطمة موجعة أعقبتها انات متقطعة وكلمات اختلطت بصوت جسده الخائر وهو يسقط الى الارض . لذلك لم تستطع اذناه أن تميزا من كلماته غير بعض عبارات الغفلة والجنون التى جاشت بها نفسه .

وكان اللطمة كانت قوية فلم تحتملها جبهته المحترقة فقد اذهلته عن نفسه وجعلته يغيب عن دنياه حينا لايدرى أقصر حتى جاء فى لحظات ، أم طال حتى جاء فى ساعات . كان لايدرى الا انه فتح عينيه فلم ير غير ضوء النهار يداعبهما من خلال سجف النافذة ، فخجل من نفسه عندما ألفى جسده ملقى الى الارض . وقام متخاذلا فارتدى ثيابه وهم بمغادرة الغرفة . بيد أنه حانت منه التفاتة عابرة الى المرآة فرأى وجهه مصفرا شاحبا كوجوه الموتى . فلم يحزن وانما تمتمت شفتاه وهو يسترد من المرآة نظراته المكتئبة ويغادر الغرفة :

ـ سيزول كل هذا . كل ماهنالك انى أعيش أبله عدة أيام أخر .

ثم وضع المظروف الآثم فى مكانه الامين الذى عثر عليه فيه ، وهو قرارة الدولاب وغادر الدار وعند غرفة زوجه فى المستشفى قابلته الممرضة فقالت له فى ابتسامة مشرقة لاح تألقها على شفتيها الجميلتين :

ـ السيد يسرى يهديك تحية الصباح .

فنظر اليها دهشا وقال :

ـ من السيد يسرى ؟

فقالت ضاحكة :

ـ يا لهؤلاء الآباء الذين لايذكرون أسماء الابناء !!

قالت ذلك ثم طارت أمامه كالحمامةالبيضاء ، فشيعها بعينيه المحمرتين حتى توارت ، ثم دلف على مهل الى قلب الغرفة ، فالفى زوجه تداعب وليدها وكأنها تداعب الدنيا فى حجرها . فحياها كعادته ، ولكنه نسى أن يداعب الطفل ويقبله ؛ وفطنت هى الى ذلك فنظرت اليه وهمت بأن تقول له شيئا . ولكن الشحوب الذى طالعها مرتسما على وجهه حتى كاد يغير معالمه ، غير مجرى حديثها فقالت :

ـ لكأنى بك لم تنم منذ يومين ؟

ولم يدر من اين أتى بتلك الابتسامة العريضة التى طبعها على شفتيه حين قال مداعبا وهو يتلظى :

ـ بل منذ جاء هذا الطفل الجميل وشاركنى فى حبك .

فقالت طروبة وقد تفتح قلبها ليحتوى الوليد الذى انحنت عليه بصدرها :

ـ أتفار منه ؟

وافزعته هذه الكلمة ، واحس لفظ الغيرة تنصب حروفه فى اذنيه كالنار ، حتى لتكاد تحرقه ، لذلك غير مجرى الحديث قائلا وبسرعة لم تفطن اليها زوجه .

ـ لقد أحضرت له سريرا جميلا دقيق الصنع ، سيعجبك كثيرا .

ـ أين وضعته ؟

ـ أقمته فى الغرفة مكان الدولاب الذى نقلته يمينا .

قال ذلك ثم ألقى بكل نظراته على وجهها ، وأرهف السمع الى انفاسها

ليرى وقع نبأ نقل الدولاب عليها . بيد انه وجدها اثبت مما كان يظن ، فلم يسعه الا ان يرميها بنظرة اذهله كيف انها لم تحرقها .

وانقضى اليوم بسلام ، وعادت الأم بولدها الى الدار ناعمة هانئة ، البشر فى عينيها ، والفرحة كامواج النسيم تداعب عطفيها ؛ وسعادة الدنيا تنتشر بسطا مختلفة الوانها امام الوليد السعيد الذى دخل الدار ليعطرها بأريج ابتساماته .

أما هو فلم يدر من امر يومه شيئا ، ولم يدر من امر دنياه شيئا ، وكل الذى الم به من امر نفسه انه سلخ من عمر الليل وقتا طويلا قضاه فى الطرقات يسير على غير هدى ، حتى انتهى الليل وهزل ، وهزل هو ايضا وخارت قواه ، فذهب الى داره يمشى رويدا رويدا كالظل . بيد انه لم يكد يقبل على بابها حتى ارتد مذعورا ، تكاد انفاسه من فرط اضطرابها تتقطع فى الظلام ، فقد راى من بعيد شبحا على باب الدار ، متلصصا وكانه يريد ان ينسرق دون ان يراه أحد .. يالله أيكونان على موعد منذ الليلة الاولى ؟. اهكذا من الليلة الاولى يستأنف الشيطان جهاده !.

ولمعت عيناه ، واربدت سحنته ، وشعر بقوة هائلة تندفع اندفاعا الى كيانه ، فوقف كالليث الهصور يقضم على انيابه فى عتمة الليل . وفجأة انقبضت انامله فى خشونة قاسية حتى غدت كالحديد أو هى اشد صلابة. ثم اندفع كالسهم الى الباب . وما ان رفع يده الغليظة ليهوى بها على ذلك الشبح المتسلل من داره فى الليل ، حتى وقف مشدوها ينظر فى خجل الى ذلك الظل الذى أقامه القمر المتأهب للرحيل ، على الباب فى الليل .

وما ان راى ذلك حتى وقف خجلا والخزى يقطر من جبينه ، فقد آذاه ان تسخر منه أوهامه على هذا الشكل المرير القاسى فبكى . ووجد فى الدموع شيئا من الراحة لذلك تركها تنساب فى صمت على وجهه المقرور ، يغمره مرة وتتكشف عنه مرات . ولما هدأت ثائرته شيئا مد يده المقرورة

فجفف دموعه ثم فتح البـاب فى رفق ، ودلف الى الدار حائرا ، يريد الا يراه احد او يرى احدا . وفجأة الفى نفسه يجلس على مقعد مريح اطمأن له جسده المتعب . وفجأة ايضا فتح عينيـه ، فاذا به يرى زوجه امامه على السرير تسبح فى نوم عميق . وقد احتضنت وليدها فى حنان رفيق ، كصدرها الناعم الأملس الذى اتخذ منه الطفل وسادة لينة وضع عليهـا راسه الصغير الجميل ، فبدلا من ان تسره هذه الصورة الجميلة التى رسمت خطوطها يد الله ، وجد نفسه يغمض عينيه ، ولـكن على قلب يتنزى ، وفؤاد يتلظى ، وجسدا تعتمل النار فى قلبه ؛ وتلهبه بسياط لا قبـل له باحتمالها ، فعاد يفتح عينيه ليقع على ساق زوجه عارية قد انكشف عنها الغطاء ، فبدت بيضاء ناصعة ، كأن قطرة واحدة من الاثم لم تستقر عليها. ووجدها وضاءة نقية ، كأن انفاس الشيطان لم تمتد اليها، فتسلل بنظراته الى جسدها البض الناعم، فوجده ايضا ناصع البياض كانه لم يتمرغ يوما فى حمأة الرذيلة او ينغمس ليلة فى الدنس ... يالله ! االى هذا الحد تتلون الحرباء ... ؟

وحانت منه التفاتة الى وجهها الجميل فطالعه خدها الشبيه «بالتفاحة» فارتعدت فرائصه ، وانخلع قلبه ، واغمض عينيه متمتما ... ترى هل تروى الدماء غلة الصادى . ؟ ترى هل يعذبها الموت كما تعذبنى حياتى ..؟ واذا انا لم اقتلها فهل أجد النار التى تحرق كبدها ، كمـا وجـدت هى الثقاب الذى اشعل جسدى .. ؟

وفتح عينيه مرة اخرى ، فوقعت نظراته على وجـه الطفل ، وطالعته قسماته تتألق نورا كالحق ، وتتشح طهرا كالسماء ... يالله ! كانه لم يكن ابن جريمة وكانه لم ينتسب ظلما الى أحد البلهاء .. ! !

وتأمل الطفل بعينيه ... تأمل جماله وبهاءه وفتنتـه .. ثم تبسم ضاحكا من الشيطان ، وكيف انه يجعل من الاثم والجرم والبـاطل جمالا وبهاء وفتنة .

وحرك الطفل ذراعه الصغيرة القصيرة وهو نائم لم يستيقظ .. . فحركت الأم ذراعها ايضا وهى نائمة لم تستيقظ ... يالله ! الى هذا الحد تحب الحية فقسها . ؟ وتحس به وتعطف عليه حتى وهى نائمة ! ! اذن .

واضطربت حواسه فجأة ، فأسرع الى عينيه واغمضهما ومن ثم راح يفكر ، ولكن فى الشىء الذى يطفىء النار .

وكأنما اهتدى الى مورد الماء ، لانه فتح عينيه مطمئنا هذه المرة على غير ماكان ينتظر ، وارسل بصره من جديد ، ولكن الى الطفل لا الى امه.

وحرك الطفل ذراعه مرة ثانية ، الا ان امه لم تحس به هذه المرة ولم تحرك ذراعها . لذلك حرك هو ذراعه ، ومد يده وتحسس جبين الطفل ، ثم أمعن النظر فيه وكأنه يراه لأول مرة ولاح وجه الطفل لعينيه بشعا كريها كأنه الأفعى . ورأى عينيه الصغيرتين اللتين فتحهما وهو نائم ، تلمعان لمعانا مرعبا مخيفا كما تلمع عين الحية الرقطاء فى عتمة الليل . . واخافه هذا المنظر البشع الكريه ، وهم بأن يرد يده ، وان يرتد عنه ، ولكنه فجأة رأى راس الطفل ينقلب فى عينيه الى راس ثعبان مخيف هائل، يكشف عن ناب حاد مدبب ويهم بالانقضاض عليه .. . وهم ان يصرخ ولكن هاله الخرس الذى انتابه .. وهم بأن يركض هاربا من الغرفة ... من الدار ... بل من الدنيا كلها . ولكن هالته قدمه التى سمرت تسميرا فى الارض وجاهدته نفسه جهادا قاسيا مريرا ... وجاهد نفسه جهادا اقسى وامر ... وبعد صراع هائل تصبب له كيانه دماء وماء . سقطت يده عفوا عن جبين الطفل ، لتستقر عند عنقه الأملس الناعم الصغير . وهدأ من روعه أن انامله كانت أقوى كثيرا مما كان يظن ... واثلج صدره انه بعد ان استرديده لحظ عليها نقطا ثلاثا من الدم ...

وتسلل من الدار يمشى رويدا رويدا كالظل . كما تسلل اليها منذ

لحظات يمشى رويدا رويدا كالقدر ، بيد انه لم يكد يبتعد قليلا حتى سمع صوتا يتفجر فى سكون الليل ، ويحدث صدى هائلا . كذلك الذى تحدثه فى الأذن صرخة الأم المفجوعة .. واطربه صوت النواح ، وائلجته صرخات القلب الذى يحترق ، فأسرع مرتدا الى الدار نشوان ، ليمتع عينيه بمنظر الأفعى وهى تتلوى ، والجسد الدنس وهو يحترق ،والراس الخبيث وهو يلاقى حتفه . وما ان اقبل على الدار حتى راى زوجه كشعلة من نار تدور على عقبيها ذاهلة مولولة تقذف عيناها الشرر وتتلمظ جنونا كاللبؤة المفترسة وما ان راته حتى لاذت بصدره صارخة .

ـ لقد انتقمت منى الخادم ، بأن تسللت الى الدار خلسة وقتلت ابنى وانا نائمة ... !!

وادهشه ان توجه زوجه التهمة الى الخادم التى طردتها ، ولا توجهها اليه هو . وهم بأن يقولها لها شيئا ، ولكن رائحة كبدها التى احس بها تحترق اطربته . فقال والفرحة تكاد تكتسح كيانه اكتساحا .

ـ كيف ... ؟

فقالت :

ـ انتقمت منى لاننى عرفت علاقتها الآثمة باخيك لطفى . يوم عثرت معها على مظروف فيه خمس رسائل ، من رسائل الحب والغرام ...

شىء واحد لم يمحه غير الوت ، الذى زار الدار بعد ذلك بايام ... ذلك هو منظر نقط الدم الثلاث التى جاد بها الطفل على الدنيا ، وهو يذبح بيد أبيه لأيام خلت من مولده .

عندما فكر فى ان يستاجر له مسكنا خاصا يقضى فيه اوقاته مع عشيقاته اختاره بعيدا عن الحى الذى يقطنه حتى لاتعرفه زوجته ، ولا حتى أحد من أصدقائه سوى أم سعيد خادمته الخاصة بيد انه لم يكد يقطن مسكنه الجديد حتى شعر بكثير من الضيق والقلق فقد كان يقطن هذا المنزل من قبله رجل يزاول السحر وتركه فجاة وما زال الناس يتوافدون على البيت ويدقون بابه على ساكنه الجديد الذى كان يصرفهم فى لطف حينا وفى خشونة احيانا الى أن دقت بابه ذات يوم سيدة رائعة الجمال ساحرة الانوثة تسأل عن الساحر فواتته فكرة ما ان نفذها حتى أصبح هو الساحر الذى يطيب جراحات القلوب . فيشفى العاقر ويزوج العانس ويجمع بين العشاق ويفرق بين الاحباب وظل كذلك الى أن حدثت هذه القصة التى أرجو ان أكون قد نقلتها اليك كما هى .

المنظر الاول

« غرفة استقبال فى مسكن محسن عبد الله المعروف بالشيخ عبد الله الساحر . عند رفع الستار ترى ثلاث نساء جميلات يثرثرن . هن درية وواحظ واحسان . فى حين تجلس سيدة متقدمة فى السن بعيدا تبدو مفكرة مهمومة » .

لواحظ ـ مستطردة ـ الا بيعرف يادريه يا اختى . انت ماشفتيش شفيقة هانم لما جاءت له عشان عطيات بنتها . كانت قاعدة الدبان عافف عليها ولا حد بيقول لها انت فين . وحياتك جات هنا للشيخ عبد الله وادته عشرين جنيه وعمل لها ورقة ماقعدتشى شهرين وانت شايفة جوزها باسم الله ماشاء الله عليه . منغنغها عربية وشقة باتنين واربعين جنيه ويوم فى اسكندرية ويوم فى مصر وقعدوا شهرالعسل كله فىلبنان .

احسان ـ شفيقة مين كان يصدق انها بعد ١٢ سنة شافت فيهم المر تقوم تحبل .

لواحظ ـ (فى دهشة) سنية حبلت يا احسان

احسان ـ وحياتك حبلة فى ثلاثة وجوزها الفرحة بتتنطط فى عينه .

لواحظ ـ (مبتهجة) ـ ربنا يبشرك بالخير

درية ـ اطمنى . وحياتك مدام جيتى للشيخ عبد الله بكره تنفك عقدتك وتملى البيت صبيان وبنات

لواحظ ـ ربنا يسمع منك يادرية ياختى

(تدخل أم سيد)

أم سيد ـ كل واحدة تكتب اسمها فى ورقة وتحطه فى منديل وتجيبه

(الجميع يكتبن أسمائهن)

أم سيد ـ واللى ماتعرفش تكتب توشوشنى على اسمها

درية ـ لام سيد ـ والفلوس

أم سيد ـ برضه فى المنديل

لواحظ ـ لام سيد ـ كام

أم سيد ـ دا شىء جودة ياست هانم

احسان ـ لام سيد ـ الاسم بس

أم سيد ـ ايوه بس الاسم وهو ح يقول لكم على كل حاجة

(أم سيد تتناول المناديل بالاسماء والنقود وتخرج)

لواحظ ـ مستطردة ـ وانت عملت ايه يادرية

درية ـ ولا حاجة امال انا جايه ليه اهو المنيل على عينه جوزى داير

بجرى ليل ونهار ورا بنت مفعوصة اسمها فوزية بتشتغل معاه فى شركة شل وكل ما اقول اطلق منه ماما تقول طولى بالك عشان خاطر الاولاد .

احسان ـ اولاد ـ الا اولاد دى كمان والنبى لو انا منك ما اقعد معاه ساعة واحدة وطظ فى الاولاد واللى خلفهم .

لواحظ ـ لاحسان ـ باشيخة حرام عليك دريةلسه صغيرة عايزاها تترمل من دلوقت

درية ـ ما هو دا اللى مخوفنى والنبى لو اعرف ان انا اطلقت منه ح اتجوز ماقعدت دقيقة واحدة

احسان ـ (ضاحكة) ـ اقول لك غظيه وشوفى لك انت رخرة واحد امشى معاه .

لواحظ ـ (لاحسان) ـ بكرة نشوفك لما تتجوزى

احسان ـ ربنا يسمع منك

درية ـ (لاحسان) خلاص مادام جيتى للشيخ عبد الله وحياتك ما انت مكملة شهر

احسان ـ (ضاحكة) ـ على الله من بقك للسما

لواحظ ـ (لنعيمة التى تجلس بعيدا) وحضرتك جاية للشيخعبدالله

نعيمة ـ ايوه

لواحظ ـ خير

نعيمة ـ (فى اقتضاب) ـ خير ان شاء الله (تصمت)

احسان ـ هو فيه حد فى الدنيا دى مرتاح .. اللى مابتخلفش .. واللى عايزة تطلق .. واللى جوزها مرافق عليها .

لواحظ ـ (ضاحكة) ـ واللى نفسها تنقلع لها عين وتتجوز

(تدخل ام سيد)

ام سيد ـ (وهى تشير الى الشمال) ـ اتفضلوا فى الاودة دى . واللى يجى دورها تدخل .

(الجميع يخرجن شمالا)

(يدخل محسن من الصدر ملثما فى ثوب ابيض فضفاض يغطيه من رأسه الى أخمص قدميه ويغلق جميع الابواب ثم يخرج من تحت احد المقـــاعد آلة تسجيل ويديرها فيسمع نص الحديث الذى دار بين النسوة الثـلاث . ثم يغـلق الآلة ويضعها مكانها . ثم يخرج من الصدر وخلفه أم ســـيد اتى تعود سريعا وتفتح باب الشمال وتنادى)

أم سيد ـ الست نعيمة

نعيمة ـ داخلة ـ نعم

أم سيد ـ حضرتك تتفضلى وتيجى بكره

نعيمة ـ (فى ألم) ـ لكن انا جايه من السفر مخصوص وسايبه بيتى واولادى ...

أم سيد ـ أعمل ايه أوامر ياست هانم

نعيمة ـ لكن دى رابع مرة اجى فيها وتقولى بكره

أم سيد ـ مش بايدى وهو راخر معذور لما الاسياد بيقولوا له طيب . طيب . لا . لا .

نعيمة ـ (وهى تخرج محزونة) الامر لله (تخرج منديلا)

(تخرج أم سيد فى حين تدخل درية)

درية ـ فى شىء من الاضطراب ـ عم الشيخ عبد الله

(محسن يمد لها يده فتحاول تقبيلها ولـكنه يرفع ذراعيه الى اعلا ويهمهم بألفاظ غير معروفة ثم يمسح بيده على رأسها وهو يشير الى مقعد امامه)

محسن ـ اجلسى

درية ـ (تجلس فى خوف)

محسن ـ انت

درية ـ (مقاطعة) درية

محسن ـ (فى غلظة) أعرف ذلك ـ **يصمت قليلا** ـ انت متزوجة ؟

دربة ـ (فى دهشة) أيوه

محسن ـ (**بعد صمت قليل**) لكنك غير موفقة مع **زوجك**

دربة ـ أيوه

محسن ـ انه على صلة بسيدة أخرى

دربة ـ (فى دهشة كبيرة) صحيح زى ما بتقول

محسن ـ (**يهمهم قليلا**) وهذه السيدة تعمل معه فى مصلحة واحدة

دربة ـ تمام ـ تمام

محسن ـ واسم هذه السيدة بحرف الفاء

دربة ـ (فى غاية الدهشة) مضبوط ياعم الشيخ عبدالله اسمها فوزية

محسن ـ (**بعد صمت قليل**) انها تسيطر عليـــه تأخذ منه كل شىء قلبه ماله زوجته

دربة ـ (وهى تنهض باكية) صحيح كل اللى بتقوله

محسن ـ (فى غضب) اجلسى

دربة ـ (**تجلس سريعا فى خوف شديد**)

محسن ـ (**وهو يضع يده على رأسها فى حنان**) ستطلقين منه

دربة ـ ح اطلق

محسن ـ وستتزوجين غيره سريعا

دربة ـ (فرحة) سريعا

محسن ـ (**يجلس بجوارها**) وستسعدين مع هـذا الزوج الجـديد سعادة كبيرة

دربة ـ (فى استسلام تلقى برأسها على كتفه) فى عرضك ياعم الشيخ عبد الله . مش ح انسا لك الجميل ده ابدا

محسن ـ (**وهو يمسـح على شعرها متشهيا**) ستلتقين به صدفة على غير ميعاد وهنا فى هذا المكان

دربة ـ هنـــا

محسن ـ (ينهض صارخا) انهضى

دربة ـ (تنهض فى خوف شديد)

محسن ـ اجل هنا لاتبوحى بهذا السر لانس ابدا والا حلت عليك اللعنة

دربة ـ (خائفة) حاضر . حاضر

محسن ـ غدا الساعة السادسة مساء تحضرين الى هنا يهمهم قليلا وسترين شابا وسيما يرتدى بدلة كحلية اللون ويحلى صدره بمنديل احمر وهو الذى سيتزوجك وستكتب لك السعادة على يديه

دربة ـ (فرحة) الساعة ستة

محسن ـ سيتحدث اليك فتحدثى اليه لا تخالفى له امرا ولا تخلفى له وعدا

دربة ـ حاضر .. حاضر

محسن ـ (فى عنف وهو يشير الى باب الخروج) والان انصرفى

دربة ـ (وهى تحاول الخروج خائفة) حاضر .. **(وهى عند الباب)** الساعة ستة

محسن ـ اجل الساعد السادسة مساء .. السادسة مساء

دربة ـ حاضر **(تخرج)**

(يغلق محسن خلفها الباب فى حين تدخل احسان وتقترب منه وتقبل يده وتقف أمامه باحترام)

محسن ـ (وهو يتفحص جمالها) اجلسى

احسان ـ (تجلس)

محسن ـ (بعد أن يهمهم قليلا وقد رفع ذراعيه الى السماء) والآن ما حاجتك

احسان ـ انت كل البركة . وانا جايه علشان **(تصمت فى خجل)**

محسن ـ تكلمى

احسان ـ (وعيناها فى الارض) عشان استبارك

محسن ـ اسمك

احسان ـ احسان

محسن ـ اعرف ذلك **(ينظر اليها)** وعذراء لم تتزوجى بعد

احسان ـ **(فى دهشة)** ايوه

محسن ـ **(وقد وضع يده على راسها)** تريدين ان تتزوجى

احسان ـ **(فى خجل)** اللى تشوفه

محسن ـ **(وهو يمسح على وجهها)** اتحبين شخصا معينا بالذات

احسان ـ لا عايزة اتجوز وخلاص واللى انت عايزه

محسن ـ **(يصرخ فجأة فى عنف)** انهضى

احسان ـ **(تقف سريعا فى خوف)**

محسن ـ خمسون جنيها

احسان ـ كل اللى تقول عليه بس اتجوز ـ **تقدم اليه نقودا** ـ معـــايا دلوقت عشرة جنيه ولما ارجع اجيب لك اللى انت عايزه

محسن ـ **(صارخا)** اجلسى

احسان ـ **(تجلس فى خوف)**

محسن ـ **(يقترب منها ويضع يده على راسها ويهمهم)** اغمضى عينيك

احسان ـ **(تغمض عينيها)**

محسن ـ **(وهو يتحسس خديها فى رقة)** ستتزوجين

احسان ـ **(فرحة)** والنبى

محسن ـ لقد باركتك الاسياد وستبعث اليك بشاب جميل وســيم ذى جاه وسلطان وستلتقين به صدفة وفى هذا المكان

احسان ـ هنا

محسن ـ اجل الساعة السابعة مساء وسيكون مرتديا بدلة بنية اللون ورباط رقبة أخضر سيتحدث اليك وسيلاطفك فلاطفيه ، أعملى بما يشير عليك به لا تعصى له أمرا لانه سيكون زوجك الحبيب . أسمعت

احسان ـ كل اللى تقول عليه أعمله

محسن ـ (فى غلظة) لا تبوحى بسرك لاحد من بنى الانسان

احسان ـ حاضر

محسن ـ (فى عنف) والا حلت عليك اللعنة

احسان ـ (خائفة) ابدا

محسن ـ والآن انصرفى

احسان ـ (وهى تحاول الخروج) الساعة سبعة

محسن ـ أجل الساعة السابعة تماما

احسان ـ (تخرج)

(تدخل لواحظ)

لواحظ ـ (وقد رأته) عم الشيخ عبد الله

محسن ـ (وهو ينظر الى أنوثتها الصاخبة) اجلسى

لواحظ ـ (تجلس)

محسن ـ (وقد رفع ذراعيه الى السماء وهمهم قليلا) والان ماحاجتك

لواحظ ـ انت كلك خير وبركة يا عم الشيخ عبد الله

محسن ـ اسمك

لواحظ ـ لواحظ

محسن ـ أعرف ذلك **(ينظر اليها متشهيا)** انت متزوجه

لواحظ ـ ايوه

محسن ـ (يضع يده على رأسها ويهمهم قليلا) ـ وسعيدة مع زوجك

لواحظ ـ ايوه

محسن ـ ولكن هناك أشياء تنغص عليك حياتك

لواحظ ـ (تحاول الكلام)

محسن ـ (صارخا) انتظرى

لواحظ ـ (**تصمت فى خوف**)

محسن ـ انت لم ترزقى أولادا

لواحظ ـ (**فى دهشة**) مظبوط وعشان كده انا جايه لك

محسن ـ (**وهو يمسك بذقنها ويرفع وجهها اليه**) وماذا تريدين

لواحظ ـ اللى تشوفه ـ وانت عارف الست اللى مابتخلفش ماتبقاش مرتاحة تبقى حياتها مع جوزها على كف عفريت

محسن ـ ولكن جوزك يحبك

لواحظ ـ وانا كمان باحبه

محسن ـ اتحبينه كثيرا ... ؟

لواحظ ـ باعبده . لكن دى حاجة ودى حاجة الست من غير اولاد زى الجنينة اللى من غير شجر زى الشجرة اللى من غير ورد زى البحر اللى من غير ميه وانا

محسن ـ **متشهيا** (**ينظر اليها كالزهرة من غير عطر**)

لواحظ ـ (**باكية**) وعشان كده لفيت كتير وتعبت كتير والآخر قالوا لى مافيش غير عم الشيخ عبد الله (**تنهض واقفة**)

محسن ـ (**صارخا**) اجلسى

لواحظ ـ (**تجلس سريعا فى خوف**)

محسن ـ (**يتركها ويهمهم قليلا ثم يلتفت اليها**) انت فى هذه المتاعب منذ أن تزوجت

لواحظ ـ تمام وشفت الويل

محسن ـ ووقعت فريسة لكثير من الدجالين والمشعوذين

لواحظ ـ تمام . تمام وايه دلوقت اللى تشوفه

محسن ـ (**بعد صمت**) لا سبيل الا أن يباركهم شمهورش العظيم

لواحظ ـ يعنى اعمل ايه ؟

محسن ـ عليك أن تخضعى لمشيئته أن تأتمرى بأمره وأن لاتذيعى له سرا ولا تعصى له أمرا والا حلت عليك اللعنة

لواحظ ـ كل اللى انت عايزه اعمله

محسن ـ وهو ينظر الى جمالها الرائع ـ وهـذا يحتاج الى عـدة جلسات .. الجلسة الواحدة عشرون جنيها

لواحظ ـ عنيه حياتى عشانك كل اللى تقول عليه

لواحظ ـ (تخرج نقودا وتقدمها اليه) اتفضل

(يتناول محسن منها النقود ويذهب الى النور ويطفئه فيظلم المسرح الا من نور أزرق داكن . ثم يدير زرا آخر فتعـلو اصوات موسيقية صاخبة راعدة)

محسن ـ والآن نبدأ الجلسة الاولى **(فى عنف)** اجلسى

لواحظ ـ (تجلس وقد اكتنفها خوف شديد)

محسن ـ (وهو يقترب منها) لا تخافى تشجعى ـ يهمهم قليلا رافعا ذراعيه الى السماء ـ والآن بحقك ياقطميش وانت ياطمشيش وبحق العرائس الاربع الجميلات بنات الجن الفاتنات أن يباركوا

جسد هـــذه المراة فتحل عقدتها وتستجيب طلبتها وتتحقق رغبتها (تنخفض الأصوات الموسيقية الصاخبة وتتلاشى)

لواحظ ـ (خائفة وجلة تتلفت حواليها فى ذعر)

محسن ـ (وهو يلوح براحتيه فى وجههـا) ـ والآن ستنامين .. وستجعلك الملائكة تلبين

لواحظ ـ (خائفة تحاول الكلام)

محسن ـ (صارخا فى عنف) ـ اغمضى عينيك

لواحظ ـ (سريعا تغمض عينيها فى ذعر)

محسن ـ نامى . نامى . نامى .

لواحظ ـ (تنام بان تستلقى بجسدها على المقعد الجالسة عليه)

محسن ـ (يقترب منها ويتحسس وجهها وشعرها طويلا فى اشتهاء ـ ثم فجاة يصرخ صرخة مدوية) افتحى عينيك .

لواحظ ـ (تفتح عينيها)

محسن ـ اعتدلى

لواحظ ـ (تعتدل)

محسن ـ انهضى

لواحظ ـ (تنهض)

محسن ـ (وهو يلوح لها بذراعه فى الفضاء) سيرى

لواحظ ـ (تتبع يده وتسير بحركة لا ارادية حتى يلف بها المسرح ـ ثلاث مرات)

محسن ـ يقف فجاة ويصرخ فى عنف ـ انزعى هذا المعطف

لواحظ ـ (سريعا فى خوف) تنزع المعطف وتلقى به على الارض

محسن ـ (فى نفس العنف) وهذا الحذاء

لواحظ ـ (تنزع الحذاء سريعا)

محسن ـ (فى صوت كالرعد) اقتربى منى ..

لواحظ ـ (تقترب)

محسن ـ اقتربى

لواحظ ـ (تقترب)

محسن ـ اقتربى

لواحظ ـ (تقترب حتى تدانيه)

محسن ـ تعلقى بأحضانى

لواحظ ـ (تمد ذراعيها مترددة)

محسن ـ (صارخا) تعلقى بأحضانى

لواحظ ـ تتعلق بأحضانه

محسن ـ اضغطى على صدرى

لواحظ ـ (تضغط)

محسن ـ (وهو يفتح ذراعيه ويحتوى جسدها فى احضانه) ـ والآن نجحت الجلسة الاولى

« ســـتار »

المنظر الثـــانى

« نفس المنظر الاول ، وحين رفع الستـار الساعـة تدق السادسة تماما . وترى دربة فى ابهى زينة وافخر ثياب جالسة على مقعد وثير تنظر الى ساعتها .. »

دربة ـ (قلقة تنظر الى الساعة) ـ اما لو صـدق كلام عم الشيخ عبد الله كنت اعرف اوريه صحيح

« يدخل محسن انيقا للغاية مرتديا بدلة كحلية اللون وقد حلى صـدره بمنديل حرير احمر وعنـدما يدخل يتجه الى المائدة ويتناول من عليها احدى الصحف ويروح يطالعها متصنعا عدم رؤية دربة »

دربة ـ (وهى تنظر اليه وتكتم فرحة كبيرة) ـ من فضلك

محسن ـ (يلتفت فى رقة) ـ أوه بردون . . انا متأسف . افندم

دربة ـ من فضلك عمم الشيخ عبد الله موجود ؟

محسن ـ (مبتسما) والله علمى علمك ما اعرفش ودى اول مرة آجى فيها هنا

دربة ـ اول مرة

محسن ـ ايوه

دربة ـ وايه اللى جابك

محسن ـ والله صدفة . دلوقت كنت باوصل صديق لى ساكن قريب من هنا . فقاعد يبالغ لى فى الراجل ده فقلت آجى اجرب (مبتسما) وان كنت بينى وبينك ماأصدقش فى الحاجات دى

دربة ـ لابكره تصدق

محسن ـ يظهر حضرتك جربتيه ؟

دربة ـ بايمان ـ هو فيه حد مايعرفش الشيخ عبد الله . دى كلمتـه ماتنزلش الارض

محسن ـ (متخابثا) ياسلام

دربة ـ حاتشوف بنفسك

محسن ـ (متنهدا) ربنا يسمع منك

دربة ـ يظهر عندك حاجة مهمة

محسن ـ والله مهمة قوى ـ يقترب منها ـ وعم الشيخ عبد الله دا بقى بيفتح الفنجان ولا بيقيس القطر ولا بيضرب الكوتشينة ؟

دربة ـ لا لا دا حاجة تانية خالص

محسن ـ فى دهشة ـ حاجة تانية خالص

دربة ـ خالص . خالص داماوصفش ابدا

محسن ـ ياسلام

دربة ـ هامسة ـ عليه اسياد .

محسن ـ يعنى عفاريت

دربة ـ فى خوف ـ وطى صوتك ـ هامسة ـ عليه شيخ هو اللى بيقول له على كل حاجة تعرف دلوقت زمانه عارف ان احنا هنا . . .

محسن ـ متصنعا الخوف ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ يعنى هو دلوقت معانا

دربة ـ حاسب . امال هو مبروك وبيعرف ليه

محسن ـ ينظر اليها ـ والله ان جيتى للحق يظهر انه مبروك صحيح

دربة ـ ليه ؟

محسن ـ رقيقا ـ عشان الصدفة الجميلة دى اللى جمعتنا مع بعض لان لولا هو ماكناش اتقابلنا

دربة ـ فى فرحة ـ مش قوى

محسن ـ يقترب منها ـ مش قوى ازاى دى اسعد صدفة فى حياتى

دربة ـ ضاحكة تنظر اليه ـ تعرف انك ظريف

محسن ـ مرسيه

دربة ـ تنظر الى ملابسه ـ وكمان شيك خالص

محسن ـ ضاحكا ـ بس دى شهادة اعتز بيها ـ **يقترب منها ـ** بردون انا مقدمتلكيش نفسى ـ **يجلس بجوارها ـ** حسنى الخرادلى . تاجر ومن اعيان البحيرة .

دربة ـ من اى بلد فى البحيرة

محسن ـ دمنهور

دربة ـ تفكر ـ

محسن ـ حضرتك تعرفيها ؟

دربة ـ بابا كان موظف هناك

محسن ـ لازم من زمان قوى

دربة ـ من زمان خالص ـ **ضاحكة ـ** ماكنتش لسه اتولدت

محسن ـ ايوه كده طمنينى

دربة ـ ليه ؟

محسن ـ مفازلا ـ لانه مش معقول الجمال ده كله يبقى فى بلدنا وانا ماعرفوش

دربة ـ طروبة ـ قلت لك مش قوى

محسن ـ مش قوى ازاى . بردون اذا قلت لك انك اجمل ست وقع عليها نظرى

دررية ـ بتبالغ

محسن ـ مافيش داعى ابالغ . لاننا ماتقابلناش قبل كده وكمان ماكنتش اتوقع انى راح حكلمك . .

دررية ـ وحضرتك بتاجر فى ايه ؟

محسن ـ فى القطن

دررية ـ لازم على كده غنى قوى

محسن ـ مش قوى . . ٤ فى الدلنجات وعزبة فى ابو حمص . . . وعمارتين فى اسكندرية طبعا غير الفيلا اللى قاعد فيها فى دمنهور

دررية ـ **فرحة** ـ وقاعد مع مين ؟

محسن ـ لوحدى

دررية ـ لوحدك ؟

محسن ـ مقطوع من شجرة

دررية ـ **ضاحكة فى فرحة** ـ مسكين وليه ماتتجوزش ؟

محسن ـ والله قبل دلوقت ماكانتش الظروف اسعدتنى بالست اللى تصلح زوجة لى . . .

دررية ـ ودلوقت ؟

محسن ـ **وهو يمسك بيدها** ـ ارجوك . . . اعفينى من السؤال ده . . **وهو يتحسس يدها** ـ ودلوقت انت عرفتى عنى كل شىء . . اقدر اعرف عنك شىء ؟

دررية ـ فى نشوة ـ زى ايه ؟

محسن مبتسما ـ مثلا حضرتك مدام . . متجوزيل . .

دررية ـ عايزينى اكون ايه

محسن ـ والله زى بعضه . . . عندى كله كويس

دررية ـ **ضاحكة** ـ كده . .

محسن ـ فى اغراء يتحسس ذراعيهـــا ـ اسمعي ـ انا والله مرتبط بموعد .. فممكن بكره نشوف بعض .

دربة ـ وهى تغالب فرحتها ـ قوام كده

محسن ـ انا قلبى بيقول لى ان احنا خلاص بقينا لبعض انا مش ممكن اسيبك انا لازم اتجوزك

دربة ـ افرض انى متجوزة ؟

محسن ـ وهو يضمها الى صدره ـ اطلقك من جوزك .

دربة ـ فى انوثة ـ حسنى بك

محسن ـ وهو يضمها اليه ـ حسنى بس ارجوك

دربة ـ فى انوثة ـ حسنى

محسن ـ هو يحاول تقبيلها ـ ارجوك .. قولى ايوه .. قولى

دربة ـ حاضر

محسن ـ بكره الساعة سبعة ونص نتقابل فين

دربة ـ زى ما انت عاوز

محسن ـ فى الترف كلوب

دربة ـ حاضر

محسن ـ بس اوعى تتاخرى

دربة ـ وهى تقف ـ بس ما تتاخرش انت ...

محسن ـ انا اقدر

دربة ـ ارفوار ...

محسن ـ وهو يصافحها ضاغطا على يدها ـ خلاص

دربة ـ خلاص ـ تخرج ـ

((تخرج دربة من الصـــدر ... ويسرع محسن بالخروج من اليمين ولا يمكث كثيرا حتى يدخل مرتديا بدلة بنيـــة اللون ويبدو فيها انيقا جدا . وما أن يتجه الى مقدمة المسرح حتى تدق الساعة دقاتها معلنة السابعة . فيسرع الى احدى الصحف ويجلس على المقعد متصنعا القـــراءة . فى حـــين تدخـــل من

الصدر احسان . فى ثياب فاخرة بحيث تبدو رائعة الجمال والاناقة »

احسان ـ مبتهجة تنظر الى محسن ـ بونسوار

محسن ـ فى كبرياء ـ بونسوار ـ يعود الى الصحيفة ـ

احسان ـ وهى تنظر اليه والى ملابسه ـ ايه مافيش حد هنا والا ايه

محسن ـ لا يجيب ـ

احسان ـ وهى تقترب منه قليلا ـ حضرتك قابلت الشيخ عبد الله

محسن ـ افندم

احسان ـ بقول حضرتك عايز تقابل الشيخ عبد الله

محسن ـ انشاء الله

احسان ـ وقابلته

محسن ـ يظهر مافيش حد هنا

احسان ـ مش ممكن فيه واحدة خدامة

محسن ـ ما اعرفش ـ **يعود الى الصحيفة**

احسان ـ لنفسها فرحة ـ تمام زى ما قال الشيخ عبد الله . **بدلة بنى** وكرافتة خضرة ـ **تقترب منه ـ** وحضرتك عايز تقابله ليه ؟

محسن ـ افندم

احسان ـ بقول حضرتك عايز تقابله ليه ؟

محسن ـ افتكر الحاجات دى اسرار

احسان ـ بردون . يعنى قصدى اقول لا سمح الله عبان . . . **مبتسمة** ـ عايز تتجوز ـ **ضاحكة ـ** عايز تطلق

محسن ـ والله انا لسه ما اجوزتش عشان اطلق

احسان ـ فرحة ـ وليه ما اجوزتش ؟

محسن ـ ضاحكا ـ ما اجوزتش لانى ما اجوزتش

احسان ـ يظهر انك من شبان الايام دى المضربين عن الزواج

محسن ـ بالعكس دا انا جاى للشيخ عبد الله عشان كده

احسان ـ فرحة ـ عشان ايه ؟

محسن ـ عشان اجوز

احسان ـ ومين يا ترى دى اللى عايز تتجوزها ؟

محسن ـ ماهى لو كانت موجودة ما كنتش جيت

احسان ـ مش قادرة افهم

محسن ـ انا رجل غنى والحمد لله ومركزى كويس ومن عيلة وشاب فاى واحدة اتقدم اليها ما اعتقدتش انها ترفض ـ متنهدا ـ لكن بس هى فين ؟

احسان ـ يا سلام ما فيش واحدة ابدا عاجباك

محسن ـ ينظر اليها ـ والله لغاية الساعة سبعة . ماكنش فيه حد

احسان ـ وهى تكتم فرحة كبيرة ـ مش فاهمة

محسن ـ يقترب منها ـ بقول انا دلوقت آمنت بحكمة قديمة . كنت مريتها زمان وانا صغير

احسان ـ ايه هى ؟

محسن ـ ان الحب زى سلك الكهربا تمام . فيه سالب وموجب ومع بعض الا انهم ما بيادوش مهمتهم الا اذا اجتمعوا وتعرفى اللى بيجمعهم ايه

احسان ـ ايه ؟

محسن ـ الزرار الصغير اللى نتكى عليه

احسان ـ مش فاهمة

محسن ـ يعنى انت موجودة فى الدنيا وانا عايش فى الدنيا ولكن مانعرفش بعض الا اذا اجتمعنا

احسان ـ وافرض اجتمعنا ايه اللى يحصل

محسن ـ يولع النور

احسان ـ يا سلام لدرجة دى الحب سريع بالشكل ده

محسن ـ واسرع كمان ـ **يقترب منها ـ** تعرفى الحب دا زى ايه

احسان ـ هيه

محسن ـ القنبلة الذرية . المدينة الكبيرة من دول تبقى نائمة مطمئنة فى امانة الله تصبحى الصبح مالاقيهاش كمان الواحد منا يبقى ماشى لا بيه

ولا عليه رايح يزور واحد صديقه جاى يقابل الشيخ عبد الله يبص مة يلاقيش قلبه

احسان ـ يلاقيه راح فين ؟

محسن ـ طعنته عين .. قتله لحظ .. اصابه رمش ...

احسان ـ يا سلام بسرعة كدة

محسن ـ يقترب منها ـ احنا بحنا لبعض باسرار كثيرة من غير ما نعرف بعض ـ ـ **يجلس بجوارها** ـ تسمحى لى اقدم لك نفسى عباس ابو الفتوح كبير مهندسى شركة كوبا بالسودان

احسان ـ حضرتك مقيم فى السودان

محسن ـ ايوه

احسان ـ وهى تنهض ـ تعرف بيقولوا عليها بلاد جميلة جدا

محسن ـ وهو ينهض خلفها ـ ح تشوفيها

احسان ـ اشوفها

محسن ـ ان شاء الله

احسان ـ وايه اللى ح يوديني

محسن ـ مع جوزك

احسان ـ جوزى

محسن ـ ايوه

احسان ـ فين هو ؟

محسن ـ انا

احسان ـ تعرف انك جرىء قوى

محسن ـ ضاحكا ـ كل المهندسين كده . ناس عمليين ـ مبتسما ـ عشان كده مشروعاتهم دايما ما تخرش الميه ـ يمسك بيدها ـ ممكن .

احسان ـ ايه ؟

محسن ـ اعرف انا كمان اسمك

احسان ـ وعايز تتجوز واحدة ما تعرفش اسمها . مش لازم تعرفها وتعرف اسمها . وتسأل عنها وتقابل بابا وماما والحلجات دى كلها

محسن ـ كل دا مايهمنيش مدام التصميم عجبنى ـ **يضغط على يدها** ـ هيه قولى لى بقى امتى ح نتقابل ؟

احسان ـ **مستنكرة** ـ نتقابل

محسن ـ **ايوه**

احسان ـ **ليه**

محسن ـ عشان نشوف الكروكى ونبدا فى اجراء التنفيذ ـ **محاولا ضمها اليه** ـ خطيبتى

احسان ـ **فى انوثة** ـ عباس بيه

محسن ـ عباس بس ارجوك ـ **يضمها اليه** ـ

احسان ـ **فى انوثة صاخبة** ـ وبعدين يا عباس

محسن ـ ايوه كده . قولى لى بقى ح نتقابل امتى ؟

احسان ـ **جادة** ـ ما اقدرش

محسن ـ انت ساكنة فين ؟

احسان ـ ٥ شارع ابو المعالى فى الدقى

محسن ـ عال قريبين من بعض بكره الساعة ١١ بالضبط ح انتظرك بالاتومبيل على ناصية الشارع

احسان ـ مش ممكن اقابلك يستحيل

محسن ـ ح ترفضى

احسان ـ **جادة** ـ الا ارفض . قلت لك قابل بابا وماما ح تقابلنى انا ليه ـ **تسمع حركة فى الخارج** ـ

محسن ـ **متصنعا الخوف** ـ لازم الشيخ عبدالله مش ح تقابليه

احسان ـ مافيش ميعاد لكن

محسن ـ **مقاطعا** ـ لا لازم تقابليه احسن يمكن يدايق انا كمان ح انتظره ـ **يحاول الخروج ثم يعود ويشير اليها على باب الشمال** ـ افتكر دى اودة الحريم .

احسان ـ **وهى تدخل شمالا** ـ برضه احسن انتظره

محسن ـ خلفها فى توسل ـ ارجوك

احسان ـ وهى تخرج ـ مش ممكن ـ **تخرج ـ**

« يقف محسن قليلا ثم يسير على اطراف قدميه ويغلق باب الشمال ثم يسرع بالخروج ثم يعود سريعا مرتديا ملابسه البيضاء وملثما فى حين تدخل أم سيد وتفتح باب الشمال وتخرج فى حين تدخل احسان »

محسن ـ عندما يراها يهمهم بشفتيه ثم يرفع ذراعيه الى السماء ويصرخ فى عنف كأنه يخاطب شخصا أمامه

قلت لا لا .. ولتذهب هى الى الجحيم . اجل لتذهب الى الجحيم وستحل عليها اللعنة ان هى خالفت لى أمرا ـ **يلوح بذراعيه فى الفضاء ـ** والآن انصرف . . انصرف ـ **يقف صامتا يهمهم بشفتيه .**

احسان ـ فى خوف شديد ـ عم الشيخ عبد الله

محسن ـ من ؟

احسان ـ محسوبتك احسان

محسن ـ يمد يده لها فتتناولها احسان سريعا وتقبلها ـ

محسن ـ ماذا حدث ؟

احسان ـ تمام زى حضرتك ماقلت بالضبط . جيت الساعة سبعة وقابلته واظن هو ح يقابل حضرتك كمان

محسن ـ وهو يضع يده على رأسها ويتحسس شعرها مبتسما ـ أعرف انكما تقابلتما وتفاهمتما

احسان ـ ايوه اتكلمنا . وهو شاب جانتيه خالص

محسن ـ فى خبث ـ أراقه جمالك .

احسان ـ دا احنا اتكلمنا فى الجواز كمان . وقال لى انت من دلوقت بقيتى خطيبتى . لكن

محسن ـ مقاطعا ـ لكن تذهبى اليه

احسان ـ دا عايزنى أقابله بكره الساعة ١١

محسن ـ محتدا وهو ينحيها بعيدا عنه ـ قلت لك اذهبى اليه

اذهبى اليه ولا تعصى له أمرا ـ **يرفع ذراعيه الى السماء ويهمهم قليلا** ـ انه أصبح من الآن زوجك العزيز فاذهبى اليه

احسان ـ حاضر ح اقابله ـ **تفتح حقيبتها وتعطى له نقودا**

محسن ـ **وقد تناول النقود** ـ والآن انصرفى

احسان ـ حاضر ـ **تقبل يده وتخرج**

((تخرج احسان ويخرج محسن يمينا . فى حين تدخل انصاف زوجة محسن ومعها عادل ابنهما وهو صبى صغير فى العاشرة من عمره))

انصاف ـ **وهى تلتفت حواليها** ـ ايه مافيش حد هنا والا ايه

عادل ـ بيت مين دا يا ماما ؟

انصاف ـ بيت عمك الشيخ عبد الله

عادل ـ مين عمى الشيخ عبد الله ؟

انصاف ـ **مبتسمة** ـ دا ساحر عظيم هو فيه حد ما يعرفوش

عادل ـ ساحر ؟

انصاف ـ امال

عادل ـ **يحاول الكلام فتنتابه كحة شديدة** ـ

انصاف ـ **محزونة تمسح له وجهه بمنديلها** ـ انت لسه بتكح يا عادل

عادل ـ شويه

انصاف ـ خلاص مادام جيت لعمك الشيخ عبد الله ح تصحى على طول

(تدخل ام سيد)

ام سيد ـ **فى خشونة** ـ خلاص يا ست هانم ميعاد الزيارة انتهى

انصاف ـ اعملى معروف أنا ابنى عيان وجايه له مخصوص

ام سيد ـ قلتلك خلاص ياست هانم . تعالى له بكره ـ **تحاول الخروج**

انصاف ـ بقولك ابنى عيان ـ **تخرج خلفها ومعها عادل**

ـ يدخل محسن ملثما فى ملابسه البيضاء ويتناول آلة التسجيل وما ان يديرها ويسمع الصوت ـ

الصوت ـ انت لسه بتكح يا عادل

محسن ـ **مضطربا جدا** ـ مراتى ـ يغلق الآلة ويعيدها الى مكانها ويصفق فتدخل ام سيد

محسن ـ فى اضطراب ـ لا اريد ان اقابل احدا
أم سيد ـ وهى تحاول الخروج ـ الستات مايسمعوش الكلام ـ قلت لها كده قالت لا

(تدخل انصاف)

انصاف ـ فى توسل ـ اعمل معروف ياعم الشيخ عبد الله انا ابنى عيان
محسن ـ مبتسما ـ عيان . ماذا به ؟
انصاف ـ بيكح وغلبت دكاترة وابوه سايبه وما يشوفنيش
محسن ـ لأم سيد ـ انصرفى
أم سيد ـ تخرج ـ
انصاف ـ وقد أخرجت نقودا من حقيبتها ـ اتفضل
محسن ـ مضطربا ـ ما هذا ؟
انصاف ـ ثلاثة جنيه انت بتاخد اكثر لكن معلهش

محسن ـ يتناول النقود ويدير آلة الموسيقى فتعلو الاصوات حتى ينطفىء النور ويعم الضوء الازرق .

محسن ـ والآن ما تريدين ؟
انصاف ـ تشفى لى ابنى وتشوف لى جوزى بيروح فين وسايبنى ليه ؟
محسن ـ اجلسى
انصاف ـ تجلس
محسن ـ وقد همهم قليلا ـ اسمك
انصاف ـ اسمى
محسن ـ مقاطعا ـ انتظرى
انصاف ـ حاضر ـ **تصمت** ـ
محسن ـ اسمك انصاف
انصاف ـ فى دهشة ـ مضبوط
محسن ـ واسم جوزك محسن
انصاف ـ تمام تمام والنبى مدام بتعرف كده ومبروك كده لعمل لى حاجة ترجع لى جوزى
محسن ـ اين هو ؟

انصاف ـ فى خوف ـ ما اقدرش ما اقدرش
محسن ـ صارخا ـ اغمضى عينيك
انصاف ـ تغمض عينيها سريعا ـ
محسن ـ بصوت اجش ـ والآن لا تخافى . تشجعى ، ستسلب ارادتك عقلك الباطن وهو الذى سيتحدث الى الخدام الموكل بك ـ **يرفع يديه الى السماء ـ** والآن اقسمت عليك بقطميش العظيم ان تنامى . نامى .. نامى .
انصاف ـ تلقى بظهرها الى المقعد نائمة ـ
محسن بصوت صاخب ـ والآن تكلمى اين زوجك
انصاف ـ فى صوت الحالمة ـ مابشوفوش
محسن ـ اين هو ؟
انصاف ـ ما اعرفش
محسن ـ هل هو يحبك ؟
انصاف ـ ما اعرفش
محسن ـ وانت بتحبيه ؟
انصاف ـ مترددة ـ !!!
محسن ـ صارخا فى عنف ـ اتكلمى والا حلت عليك اللعنة
انصاف ـ خائفة ـ لا ما باحبوش
محسن ـ مضطربا ـ لا تحبين زوجك
انصاف ـ باكرهه
محسن ـ تحبين شخصا آخر
انصاف ـ ايوه
محسن ـ فى اضطراب ـ بتحبى مين
انصاف ـ تتردد . بـــ بـــ بـــ
محسن ـ صارخا ـ اتكلمى
انصاف ـ باحب منصور
محسن ـ مأخوذا ـ منصور . منصور مين
انصاف ـ منصور الاورفلى

محسن ـ تعرفيه منين
انصاف ـ **كالحالمة تخاطب نفسها** ـ من اتناشر سنة . من سنة مااتجوزت محسن . وهو كمان بيحبنى . بيحبنى قوى . قوى . وبيصرف على وعلى ابنه
محسن ـ **ماخوذا** ـ ابنه ـ ابنه مين ؟
انصاف ـ **مستطردة تخاطب نفسها** ـ ابنه عادل دا مش ابن محسن زى الناس ما هى فاهمة وزى محسن ما هو فاهم دا ابن منصور . منصور اللى باحبه
محسن ـ **صارخا فى عنف** ـ **يمزق اللثام من على وجهه** ـ يا مجرمة
انصاف ـ **تفتح عينيها وتصرخ** ـ محسن
يغمى على انصاف وتكاد تسقط فتدخل ام سيد وتخرجها شمالا وتغلق الباب
محسن ـ **فى ذهول يخاطب نفسه** ـ مش ابنى . . عادل مش ابنى ابن منصور وانا . . انا ((**يرى وجهه فى المرآة**)) ـ انا . . ـ **يضع يديه على عينيه ويصرخ باكيا فى مرارة فى حين يدخل عادل من اليمين باحثا عن امه**
عادل ـ **داخلا** ـ ماما . ماما ـ **يرى محسن فيذهب اليه فرحا** ـ بابا واحشنى يا بابا
محسن ـ **ينظر اليه نظرات نارية** ـ
عادل ـ **فى خوف شديد** ـ مالك يا بابا
محسن ـ **يلقى به على الارض فى عنف ويصرخ** ـ انا مش ابوك
عادل ـ **مرتاعا** ـ ب . ب . بابا
محسن ـ **فى نظرات جنونية وهو يقبض على عنق الطفل** ـ لازم اقتلك عشان ما اسمعهاش ابدا

((صوت انصاف من الخارج وهى تدق الباب))

انصاف ـ محسن سيب الولد . سيب الولد
محسن ـ **صارخا يضغط على عنقه** ـ ح اقتله ح اقتله
عادل ـ ح اموت . . ح اموت . .
انصاف ـ ابنى ـ ابنى ـ . **تدق الباب فى عنف** ـ افتح افتح

محسن ـ مجنونا يتلفت حواليه وهو **يضغط على عنقه** ـ ح اقتله . ح اقتله

انصاف ـ **من الخارج فى جنون وهى تدق الباب** ـ افتح افتح

محسن ـ موت ـ موت

«انصاف تكسر الباب وتدخل سريعا فى جنـون فتجد الطفل جثة هامدة فتلقى بنفسها عليه صارخة »

محسن ـ فى **تشف** ـ قتلته . قتلته

انصاف ـ حرام عليك دا ابنك . ابنك

محسن ـ ابن منصور

انصاف ـ **مولولة** ـ ابنك ابنك من دمك ولحمك

محسن ـ ابنى

انصاف ـ ايوه ابنك انت . انا لما عرفتك فين . واللى بتعمله ايه . وايه الستات اللى بتفضح فى اعراضهم باسم السـحر والدجـل بتاعك ـ **صارخة تبكى** ـ قلت اعمل واحدة منهم واجى لك واشكك فى شرفك فى ابنك . عشان احرق قلبك شوية زى ما انت حرقت قلوب الناس منصور دا اللى قلت لك عليه ما شفتوش وما اعرفوش ـ **تنـظر الى جثـة الطفل وتقطع فى شعرها باكية** ـ شوفت ازاى انتقام ربنا ـ عشـان مجرد الشك قتلت ابنك يعملوا ايه الستات دول كلهم اللى انتهكت اعراضهم كام ست جنيت عليها وكام زوج فضحته فى شرفه .. عرفت دلوقت ليه ربنا حرم جريمة الزنا ـ **تنظر الى جثة الطفل** ـ عشان كده . عشان ما تقتلش ابنـك وما تربيش غير ابنك

« فى نظرات جنونيـة ، يرتمى محسن عـلى جثـة الطفـل وينتزعها من احضان انصاف ويضمها الى صدره وهو يدور بها على عقبيه فى جنون مروع وهو يصرخ صرخات مدوية »

محسن ـ ابنى ابنى

ويسدل السـتار

كتب للجميع

مكتبة مصنفة ، فى جميع نواحى المعرفة

صدر منها حتى الآن :

١ ـ **آبار فى الصحراء** ـ مجموعة قصص مصرية للاستاذ محمود كامل المحامى

٢ ـ **الضاحك الباكى** ـ احاديث عن الثورة المصرية للاستاذ فكرى أباظة

٣ ـ **الف ليلة الجديدة** ـ اخراج جديد للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

٤ ـ **نساء من خزف** ـ مجموعة من القصص المصرية للاستاذ سعد مكاوى

٥ ـ **صندوق الدنيا** ـ صورة فكهة للفقيد الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

٦ ـ **فرعون الصغير** ـ مجموعة قصص مصرية طلية للاستاذ محمود تيمور

٧ ـ **الشرق والغرب** ـ مجموعة قصص للدكتور محمد عوض

٨ ـ **قضايا الحب** ـ مجموعة من اغرب وامتع القضايا للدكتور فائق الجوهرى

٩ ـ **جيشنا فى فلسطين** ـ تسجيل تاريخى لحرب فلسطين للصاغ السيد فرج

١٠ ـ **الف ليلة الجديدة** ـ المجموعة الثانية للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

١١ ـ **فى المرآة** ـ مختار المزايا فى السياسة الاسبوعية للشيخ عبد العزيز البشرى

١٢ ـ **غاديات رائحات** ـ قصص مصرية للاستاذ محمود طاهر حقى

١٣ ـ **صانع الحب** ـ مجموعة قصص واقعية للاستاذ احسان عبدالقدوس

١٤ ـ **دموع وضحكات** ـ مجموعة قصص مصرية للاستاذ حلمى مراد

١٥ ـ **عندما تحب المرأة** ـ مجموعة قصص واقعية للاستاذ عباس حافظ

١٦ ـ **حاجى بابا الاصفهانى** ـ عن جيمس موريه للاستاذ مرسى الشافعى

١٧ ـ **جرائم ومرافعات** ـ مجموعة من أشهر القضايا للاستاذ يوسف حلمى

١٨ ـ **الطريق الى السعادة** ـ عن الفيلسوف الامريكى هنرى لنك للصاغ ثروت محمود

١٩ ـ **موعد فى الجنة** ـ مغامرات الابطال المصريين فى حرب فلسطين للاستاذ حلمى سلام

٢٠ ـ **نجيب الريحانى** ـ دراسة وافية دقيقة للاستاذ عثمان العنتبلى

٢١ ـ **صور من الريف** ـ صور صادقة لحياة الريف للاستاذ زكى عبد القادر

٢٢ ـ **الحب فى التاريخ** ـ أشهر قصص الحب التاريخية للاستاذ سلامه موسى

٢٣ ـ **عشرة أيام فى السودان** ـ للسيد الدكتور محمد حسين هيكل

٢٤ ـ **من وراء القضبان** ـ للاستاذ احمد حسين

٢٥ ـ **مارد من الشرق** ـ صور من الهند للاستاذ احمد قاسم جوده مع فصول للاستاذ محمود أبو الفتح

٢٦ ـ **خبايا سياسية** ـ أسرار السياسة المصرية بقلم الدكتور محمود عزمى

٢٧ ـ **جنة الحيوان** ـ فصول فى الادب والحكمة للدكتور طه حسين

٢٨ ـ **بائع الحب** ـ باقة جديدة من الادب العاطفى للاستاذ احسان عبد القدوس

٢٩ ـ **حياة ثانية** ـ قصة تصور متع الشباب ومآسيه للدكتور ابراهيم عبده

٣٠ ـ **ادركنى يا دكتور** ـ صور واقعية لادق الاسرار فى حياة الناس للدكتور ابراهيم ناجى

٣١ ـ **مشاكل الحب والزواج** ـ ارشادات قبل الزواج وبعده للدكتور فائق الجوهرى

٣٢ ـ **شخصيات بلا رتوش** ـ دراسات بقلم صلاح عبد الجيد وريشة الرسام فوزى

٣٣ ـ **قصص تمثيلية** ـ فصول فى النقد والتحليل ـ مسرحيات فرنسية للدكتور طه حسين

٣٤ ـ **الوان من الحب** ـ مجموعة قصص عاطفية تحليلية للاستاذ عباس حافظ

٣٥ ـ **يوميات ـ مجنون** ـ مجموعة مختارة من كبار الكتاب للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

٣٦ ـ **العاصية** ـ دراسات ممتعة للحب للاستاذ أحمد الصاوى محمد

٣٧ ـ **مهازل الحياة** ـ مجموعة من القصص من مختلف بلاد العالم للاستاذ حبيب جاماتى

٣٨ ـ **فاتنة الشيطان** ـ مجموعة من الصور الواقعية القريبة للحياة المصرية للدكتور سعيد عبده

٣٩ ـ **شهر فى نيويورك** ـ دراسة ممتعة للحياة فى امريكا للاستاذ أحمد ابو الفتح

٤٠ ـ **الجاسوسية فى مصر** ـ مجموعة من اسرار وحوادث الحرب الخفية للاستاذ محمد رفعت المحامى

٤١ ـ **نساء فى حياتى** ـ قصص حياة اثنتى عشرة امراة للاستاذ امين يوسف غراب

٤٢ ـ **فكرى اباظه فى الراديو** ـ نقدات سياسية واجتماعية لفكرى اباظه

٤٣ ـ **الشباب والجنس** ـ محاولة علمية لتحطيم الجهل الجنسى للدكتور فائق الجوهرى المحامى

٤٤ ـ **القـــدر** ـ قصة لفولتير ترجمها الدكتور طه حسين

٤٥ ـ **حـكايات لمصر** ـ فى سبيل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعيـة للاستاذ أحمد أبو الفتـح

٤٦ ـ **المكافحون** ـ مجموعتان عن سـير ابطال الوطنيـة وابطال الفـكر والفن للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

٤٧ ـ **دنيا المرأة** ـ عن الدور الخطير الذى تلعبه المـرأة فى حيـاة الرجل للاستاذ محمود مسعود

٤٨ ـ **العقل والهوى** ـ دراسة نفسية جـديدة للحب لم يسبق نشرها للاستاذ احمد الصاوى محمد

٤٩ ـ **اسرار النفس** ـ خلاصة مبسطة لآراء اساطين علم النفس للاستاذ سـلامه موسى

٥٠ ـ **طريق الحرية** ـ كتاب الوطنية الصادقة والكفاح فى سبيل التحرر والكرامة ، للفيف من أسرة المصرى

٥١ ـ **جواسيس وفدائيون** ـ سجل لما يحدث وراء الستار فى الحروب الكبرى ، مفعم بالمغامرات الحقيقيـة العجيبة ـ ترجمة الاسـتاذ ابراهيم موسى

٥٢ ـ **بسمات ساخرة** ـ مجموعة من المآسى والمساخر فى حياتنا المصرية للاستاذ محمود طاهر حقى

٥٣ ـ **الجريمة والعقاب** ـ بحث طريف من واقـع الحيـاة فى الجريمـة واسبابها وطرق العقاب عليها ـ للاستاذ محمد سعيد خضير

٥٤ ـ **حكايات علمية** ـ للدكتور محمود سلامه عن المصـادفات التى كان لها أكبر الاثر فى الاكتشافات العلمية الحديثة

٥٥ ـ **الصوم والنفس** ـ للدكتور امين مصطفى عبد الله ـ عن الصوم وتأثيره من الناحية الفسيولوجية والسيكولوجية

٥٦ ـ **اغرب ما رايت** ـ للاستاذ حبيب جاماتى عن اعجب ما شاهده فى رحلاته القيمة

٥٧ ـ **اصول الحب** ـ للدكتور فائق الجوهرى ، وهو تقديم لكتاب « الالفة والآلاف » لابن حزم الاندلسى ، وذلك عن العشق واصوله ، والعلاقة بين المحب والمحبوب والعذول والحسود

٥٨ ـ **ملك ضد شعب** ـ للاستاذ زكريا الحجاوى ، والاستاذ عبد العزيز جبر ، صفحات خفية عن حياة فاروق الطاغية

٥٩ ـ **حمار الحكيم** ـ للاستاذ توفيق الحكيم ـ قصة فلسفية ساخرة تتناول المجتمع المصرى بالنقد والتحليل

٦٠ ـ **أرض الاحلام** ـ للدكتور زكى نجيب محمود ، ملخص دقيق وتحليل رائع لأربع اتوبيات عالمية

٦١ ـ **أدب الشعب** ـ للاستاذ حيرم الغمراوى ، عرض جميل اخاذ لأدب الشعب الصادر من الاعماق

٦٢ ـ **اديب** ـ لعميد الادب العربى الدكتور طه حسين

٦٣ ـ **فى ظلال المشنقة** ـ للاستاذ احمد حسين ، مذكراته التى اعترف فيها بعد حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢

٦٤ ـ **الحشيش ممنوع** ـ للاستاذ مرزوق احمد . بحث يجمع بين الثقافة والطرافة ، عن المخدرات وتأثيرها الطبى والنفسى ، مع مجموعة رائعة لحوادث التهريب فى انجلترا وامريكا

٦٥ ـ **الجاسوسية الحمراء** ـ للواء احمد شوقى عبد الرحمن ، اول كتاب من نوعه يكشف عن الجواسيس الروس والدور الذى قاموا به من اجل القنبلة الذرية

٦٦ ـ **الضاحك الباكى** ـ طبعة مجددة للاستاذ فكرى اباظه

٦٧ ـ **٣٠عاما فى كفاح الجريمة** ـ للواء عبدالمنصف محمود وكيل وزارة الداخلية السابق ، عن اغرب حوادث الجريمة الواقعية فى مصر

٦٨ ـ **ادب الثورة** ـ للدكتور غلاب ، عن طلائع المفكرين الذين مهدوا لاكبر الثورات فى التاريخ

٦٩ ـ **ثورات التحرير الكبرى** ـ للواء احمد شوقى عبد الرحمن عن اكبر ثورات التحرير فى العالم الشرقى والغربى ، القديم والحديث عن الافلاك والاجرام السماوية

٧٠ ـ **اطباء ومرضى** ـ للدكتور فائق الجوهرى ، عن الطب وتاريخه والعلاقة بين الطبيب والمريض

٧١ ـ **رحلة الى السماء** ـ للدكتور ابراهيم مصطفى ، دراسة قصصية

٧٢ ـ **نفوس للبيع** ـ لعميد الادب العربى الدكتور طه حسين

٧٣ ـ **طريق الخطايا** ـ للاستاذ امين يوسف غراب ، مجموعة قصصية واقعية تتسم بالطابع المصرى الاصيل

٧٤ ـ **امة تبعث** ـ للاستاذ احمد حسين ، عن رحلته الى الهند ، ومشاهداته فى الحياة العصرية الهندية

٧٥ ـ **مع المجرمين** ـ للاستاذ امين فهمى السيد مدير القليوبية السابق حوادث رهيبة لاقسى عصابات الاجرام فى ريف مصر

٧٦ ـ **حقائق واحلام** ـ للسيد فتحى رضوان ، رحلات مع الزمن ، وقراءات من الكتب

٧٧ ـ **مع الزمان** ـ للاستاذ محمد فريد ابو حديد ، مجموعة رائعة من قصص ابطال التاريخ فى الشرق العربى قديما وحديثا

٧٨ ـ **قضايا جنسية** ـ للاستاذ انور العمروسى ـ مجموعة قضايا مثيرة وقعت بين ايدى القضاء المصرى

٧٩ ـ **مع الناس** ـ للدكتور احمد زكى مدير جامعة القاهرة ـ مقالات ممتعة فى احوال الناس وعاداتهم وامزجتهم

٨٠ ـ **اشباح وارواح** ـ للاستاذ احمد فهمى ابو الخير ـ مجموعة قصص واقعية عن عالم الروح

٨١ ـ **مذكرات جحا** ـ للاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ، مجموعة رائعة من نوادر جحا ودراسة لحياته

٨٢ ـ **نساء العالم** ـ للاستاذ الرحالة محمد ثابت ـ عن طبائع النساء فى شعوب العالم

٨٣ ـ **جرائم جنسية** ـ للدكتور محمد فائق الجوهرى ـ مجموعة قضايا واقعية مثيرة نظرها القضاء فى السنوات الاخيرة

٨٤ ـ **صفحات مجهولة** ـ للقائمقام انور السادات

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

مدير المجلة : السيد ابراهيم

رئيس التحرير : دكتور فائق الجوهري

سكرتير التحرير : مرزوق احمد

ثمن العدد :

مصر والسودان		٧٠ مليما
سوريا	بالطائرات	٧٥ قرشا سوريا
لبنان	»	٧٥ قرشا لبنانيا
العراق	»	٨٠ فلسا
الاردن	»	٨٠ فلسا
المملكة العربية السعودية	»	١٨ قرشا سعوديا

الاشتراكات :

القطر المصرى والسودان عن سنة « ١٢ عددا » ٧٠ قرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ٨٠٠ قرش سورى أو لبنانى
الاردن والعراق بالطائرات ٩٠٠ فلس

طريقة الدفع :

مصر والسودان : نقدا او بموجب اذونات او حوالات بريد او شيكات
خارج القطر المصرى : حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة

المكاتبات بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ت ٧٩٦٤٧

الاعلانات يتفق عليها مع شركة الاعلانات المصرية « ش.م.م » - شارع جلال بالقاهرة .